

إِنْ رِيدَ إِلَّا الْإِصْلَاحُ
مَا اسْتَطَعْتُ

الأستاذ الشيخ
حمو بن عمر فخر

كتاب حررنا حسنا

مناقب القائد المربي الشيخ ييوض إبراهيم



تقديم

الدكتور محمد ناصر

44

نشر جمعية التراث
القرارة - غرداية - الجزائر
ذو القعدة ١٤٢٠ / فيفري ٢٠٠٠

الأستاذ الشيخ
حمو بن عمر فخار

سريّة إلا الإضراب
٥
مَا اسْتَطَعْتُ

كان حريثا حسنا

مناقب القائد المربي الشيخ بيوض ابراهيم

تقديم
الدكتور محمد ناصر

نشر جمعية التراث
القرارة - غرداية - الجزائر
ذو القعدة ١٤٢٠ / فيفري ٢٠٠٠

وہاں رہا رخصت ہو کر خیرا ملاقاتی بقائے

الإيداع القانوني رقم : 2000/260
ردمك 5 - 63 - 908 - 9961 I.S.B.N

تقدير الدكتور محمد ناصر

عندما شرفني أستاذي الشيخ حمو فخار باختياره لأن أكتب تراجم (افتتاحية) - كما سماها - لمؤلفه القيم هذا، وجدتي في وضعية حرجة لا أحسد عليها؛ وذلك لأسباب أذكر من بينها:

• إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ يَتَنَاوَلُ فِكْرَ شَخْصَيْنِ عَظِيمَيْنِ مِنْ مَشَايِخِي:

• ماذا عساي أقول في إمامي وشيخي وأستاذي الشيخ بيوض، إمام الحركة الإصلاحية في جنوب الجزائر وزعيمها، وقد سبق أن كتبت ونظمت، ومع ذلك فإني أشعر دوماً بالقصور والتقصير.

• ماذا عساي أقول في مؤلف كتابه هذا، الشيخ حمو فحار، وهو

شيخ الأدب بوادي ميزاب بلا منازع إلا أن أشعر بالخرج، وقد أوقفني أمام قامته المهيبه الجليلة وأنا القصير المقصر.

• ما زادني حرجاً أنه ليس بين القبول والرفض موقف ثالث ألجأ إليه وأحتمي بحماه، فلو قبلت خشيت أن لا أكون في مستوى هذا التشريف، وعندئذ يخيب ظنٌ شيعي في، وهذا الأمر لا أرتضيه لنفسي. ولو رفضت - إشفاقاً على نفسي وإيثاراً للسلامة - خفت أن يعلق من رفضي في قلبه شيء، ربما حسبه عقوقاً لا أبيحه لنفسي.

• ومن ثمّة لم يكن أمامي من مهرب إلا أن أتوكل على الله وأستعين به، فقرأت الكتاب كله، وكنت كلما قرأت صفحة استحثني لقراءة ما بعدها، وكنت أنتقل بين الأسطر في نشوة روحية سامية، ومتعة أدبية عالية، حتى إذا أتممته حمدت الله على توفيقه لهذا التشريف، لأنه كان فرصة ثمينة لي أن ألتقي بهذا الفكر الذي أفادني معلومات جديدة عن شيعي وأستاذي وإمامي (رحمه الله)، وسقى تربته بالمغفرة والرضوان).

لقد وقعت في حيرة من أمري إذ لم أجد المنهجية التي أسلكها ولا الخطة التي أتبعها، أأجلي من هذا التقديم مزايا المؤلف أم المؤلف عنه؟ وهو قد أغنانني عن هذا وذاك، لما تميز به أسلوبه الأدبي الرفيع من روعة بيان وسحر تعبير، بل وما أبدعته ريشته في حديثه عن الشيخ بيوض من دقة في الوصف، وعمق في التحليل، وهل بعد التدقيق والتحليل مرام؟

لم يغرنني قول الشيخ حمو - رغم اعتزازه بشهادته - حيث يقول عن كتابي تقديماً لهذه الرسائل: «إنّ عملك سيكسبه قيمة وروعة عند من يعرفك، ووزناً بما تضيف عليه من أدبك الجمّ، وتدللّ به من معلوماتك الواسعة عن المحتفل به، بوصفك (ابن الوسط) عرفنا عنه أشياء، وغابت عنا أشياء وأشياء...»¹.

ذلك هو خلق التواضع الذي تحلّى به الشيخ حمو، والذي يلزم بالقبول، ويدفع إلى نيل المأمول، وذلك هو ظرفه وأدبه، وطريقة في الكلام ذكية عرف بها قديماً أهلُ غرداية، وإلاً فإنّ ما يعرفه الشيخ حمو عن الشيخ بيوض، قد لا يكون له مثيل إلا عند خاصّة الخاصّة من معاشري الشيخ الإمام مثل الشيخ عدّون (بارك الله في أنفاسه). الشيخ حمو كان من القلّة القليلة وخاصّة الخاصّة الذين ظلّوا قريبين من الأستاذ الإمام أوفياء على العهد، لم يبدّلوا مبدأ، ولم يقلّبوا معطفاً، ولم يغيروا جبهة أو سحنة، ومن ثمّ فإنّ ما كتبه هنا يُعدّ وثيقةً تاريخية هامة من مُريد، قد تأتي في مقدّمة ما كتبه الكاتبون، وسجلّه المؤرّخون، من أبناء الشيخ وتلامذته.

2- الأسلوب هو الرجل:

إذا كان النقاد يقولون: «إنّ الأسلوب هو الرجل»، فإنّ هذه المقولة تنطبق بحقّ وصدق على الشيخ حمو، حيث تتجلّى الثقافة العربية

الأصيلة متمثلة في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والأدب العربي، شعرا وحكما وأمثالا، ويغدو القرآن الكريم تاج هذه الثقافة وعمودها الفقري، تتأصل به وترداد، وتلك ميزة أخرى من ميزات معهد الشيخ بيوض الذي يُشرب حبَّ القرآن أبناءه. ولا أعني هنا ما يمكن أن نلاحظه عند بعض الكتاب أو الخطباء من استشهاد بالآيات القرآنية بطريقة عفوية فيأضة، فذلك أمرٌ يحسنه الفقهاء أيضا، ولكني أعني بها هذا المزج الموفق بين الثقافة القرآنية وبين أسلوب الكتابة، وتجسّد معاني القرآن وألفاظه وتراكيبه في شرايين الكتابة ونظمها، وهو مما زاد لأسلوب الشيخ حمو روعة لا تتناهى، وجمالا أخاذا لا يفنى؛ والحق إن هذه من سمات وخصائص أغلب أدباء معهد الحياة ناثرين وشعراء، على أن الشيخ حمو، وهو شيخ الأدباء كما قلت، قد تفوّق في هذا الاتجاه تفوّقا ملحوظا، ولنقرأ معا هذا النموذج الذي نقبسه من رسالة توجّه بها إلى شيخه بيوض مهنتا بعد رجوع ممتلكاته إليه:

«فلينهمكم أستاذي أنكم اقتبستم من صبر أولي العزم، ولم تستعجل لهم، وأنت صبرت نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ولم تعدّ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا، ولأنك لم تُطع من أغفل الله قلبه عن ذكره واتّبع هواه وكان أمره فرطا»².

كان ذلك من رسالة حرّرها سنة 1967؛ فلنقرأ هذا النموذج من

رسالة أخرى راسلنا بها منذ شهر³، يقول:

«ولا أفيد للخلف من اقتفاء آثار السلف، الآثار التي غدت اليوم مهيضة الجناح، بينما كان القدامى لا يضيّعون قصاصة ورق ولو ألفوها مع التوافه تذروها الرياح، كما أنهم كانوا إذا سمعوا أدبا وهم في برٍّ أو في بحر كتبوه في حائط، أو نقشوه بدُسر على ذات ألواح، وإذا ما مروا على جدار يريد أن ينقض أقاموه صيانة لميراث اليتامى من أبناء الصلاح».

والحق أقول - دون مجاملة أو نفاق -: إن الشيخ حمو يُعدُّ في نظري شيخ الأدب في وادي ميزاب في العصر الحديث، ولا أتخفّظ فيما أقول ولا أستدرك، لأن هذا الكتاب الذي بين أيدي القارئ - وهو عينه من كتاباته - سيعضد رأبي ويصدّق دعواي.

ويكفي الشيخ حمو فخار فخرا أنه درس عند الإمام الشيخ بيوض، الذي يجهل الكثيرون هذا الجانب النير فيه، وهو قد تلقاه عنه في فترة من شباب الشيخ أعطى فيها نفسه للتدريس، فتنقل ما تنقل بين رياضه مع ثلّة من زملائه النجباء، كلهم تخرّج في هذا المعهد، في تلك المرحلة من الحرب العالمية الثانية، أديبا لامعا لا يُشقُّ له غبار، ومن زملائه من أفضى إلى ربّه، ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا، يكفي أن نذكر من بينهم على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ عدّون، والشيخ علي يحيى معمر (الليبي)، والشيخ محمد علي دبوز، والشيخ إبراهيم

الحاج أيوب القراي، والشيخ الناصر مرموري وغيرهم... وكلهم أدباء بحق، ولو كتبوا في الفقه والتاريخ، وامتحنوا الوعظ والتدريس، وانشغلوا بالإصلاح والتوجيه. هؤلاء الأدباء الكبار من خريجي معهد الحياة اللامعين في فترة كانت من أجزل فترات المعهد عطاء وكرما، وأروعها نجابة وإصلاحا، وشكرا لمن أحاط الإمام الشيخ بيوض عندها بإقامة جبرية حجرت عليه الخروج من القرارة، فثنى ركبتيه في معهد الشباب متفرغا لأبنائه التلاميذ يربّيهم ويوجههم، ويبيّن نفوسهم وعقولهم، وربّ ضارّة نافعة.

3- أبرز محطات الكتاب:

أستسمح القارئ الكريم عذرا بأن أقف معه عند أبرز محطات هذا المؤلف القيم، وعند أجمل فصوله، على أني سأترك للقارئ فرصة التمتع بأسلوب الشيخ وأدبه وبيانه، ليشمّ عطره الزكيّ بنفسه، ويتذوّق عصارة لبّه بفطنته.

ولنبداً من البواعث التي دفعته إلى جمع هذه الآثار، وإبرازها اليوم على هذا النحو، بعد أن مضى على بعضها ستون عاما، فهي تمتد ما بين 1940م حينما كان الشيخ تلميذا بمعهد الشباب و1980م السنة التي انتقل فيها الشيخ بيوض إلى رحمة الله، وانتظرت عشرين سنة كاملة حتى تخرج إلى النور وتجد اليد التي تضعها على مكنتات المطبعة، مما يدلّ على أن الزمن ليس له اعتبار على الإطلاق في تقديرنا

وتفكيرنا... وإنما ننتظر المناسبة التي توقظنا، وإلا فنحن في نوم عميق، ولو امتدّ الشخير بنا شهورا وسنوات.

يقول الشيخ حمو:

«مناسبة ما عزم عليه أستاذنا الشيخ عدون حفظه الله - حسب رسالته إليّ - من إقامة الذكرى العشرين لوفاة الإمام العلامة المصلح، أستاذ الأجيال بلا منازع، الشيخ بيوض رحمه الله، رأيتُ أن تكون مشاركتي في المناسبة طبع الكتيب الذي جمعت فيه رسائله إليّ، هادفا بذلك إلى إبراز شخصيته للأجيال الذين لم ينعموا بصحبته كما نعمت، فهو خير قدوة في ربوعنا، يُهتدى بهديه ويُستضاء بنوره»⁴.

وإن كان هذا هو التعليل المناسب للمناسبة، فإنّ المقصد من نشر هذه المجموعة القيّمة أبعد وأسنّ حيث يقول: «تحت ضغط هذا الواقع المؤلم، وتحطّما للسدّ المضروب، والحظر المفروض على التراث المؤود، أبحث لنفسي أن أنشر ما عندي من صحائف، لا مباهاة بصليتي بالرائد المفقود، ولكن للبرهنة والتدليل على أنّه حقاً وصداقاً مُربّي الأجيال، وصانع الرجال.... وإبراء ساحتي من البخل وذمّي من الاحتكار»⁵.

ولا يفوتني هنا أن ألفت نظر القارئ الكريم إلى أهمّ ما يميّز به هذا العمل، حتى نضعه حيث ينبغي أن يوضع من رفوف المكتبة الإسلامية.

(4)- مصدر سابق.

(5)- الكتاب صفحة 67.

لقد استطاع الشيخ حمو بقلمه الفياض أن يرسم صورة صادقة للشيخ الإمام، أبرز من خلالها ملامح عن شخصيته الغنية الثرية: عالما ضليعا في العلوم الشرعية، متفتحا في فتاويه على مقاصد الشريعة الإسلامية، وزعيما مصلحا، وقائدا يزجي الصفوف في أهم حركة من حركات الإصلاح في جنوب الجزائر، ومربيا قديرا خرّج للجزائر أجيالا من المتعلمين العاملين، والمثقفين الواعين المؤمنين بالإسلام دينا وبالعربية لغة وبالجزائر وطنا، وأبا عطوفا يُشفق على أبنائه التلاميذ، ويرعى شؤونهم الاجتماعية بنفسه، بكل تواضع وحنو، وأديبا ظريفا يعشق الأدب ويحب النكتة الطريفة، والملحة الذكية، والبديهة الحاضرة.

جلى كل ذلك من خلال معايشة صادقة متينة، وصداقة وفيّة حميمة، وبنوة بارّة كريمة، وما كان أن يتوفر ذلك إلا لمثل هذا القلم الذي نشأ وترعرع في أحضان الأستاذ الإمام تلميذا مجتهدا، ثم شيخا مصلحا، ولولا تواضع الشيخ حمو لقلت: قائدا ساميا في صفوف الحركة الإصلاحية.

إن ما كتبه الشيخ حمو فخار هنا، عن شيخه وأستاذه بيوض، يُعدّ نموذجا للاقتداء لما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين التلميذ والأستاذ، والشيخ والمريد، بل الوالد والولد... الأستاذ الذي صيره حنانه أبا، والتلميذ الذي حوّلته بروره ابنا، ومن ثم هذه العلاقة الروحية الحميمة التي زكّاها الله ورعاها، فكانت الدروس تنتقش بالذاكرة نقشا،

والموعظة ترسخ بالقلب رسوخا، وأصبحت الإشارة تُغني عن المجلّدات، والكلمة عن محاضرة تدوم ساعات. ولم يعد غريبا عندئذ أن نجد للشيخ الإمام على بنيه هذه البصمات التي تتحلّى في فكرهم وسلوكهم، وتفصح بها ألسنتهم وصدورهم، فكانوا بحق فتية آمنوا برّبهم فزادهم هدى وآتاهم تقواهم، ولن يجد القارئ الكريم مشقة في أن يتلمّس ذلك في كل سطر من سطور هذا الكتاب، في الخطب والرسائل والمقالات؛ على أن المؤلّف التلميذ قد أشار إلى هذا بصراحة وهو يتحدث عن شيخه وأستاذه، حيث يقول:

«لعلّ أصدق وصف يمتاز به الشيخ بيوض رحمه الله أنّه صانع الرجال ومربي الأجيال، وحسبه أن يكون كذلك ولا يزيد عن ذلك... أعلمت أشرف أو أجل من الذي بيني وينشئ أنفسا وعقولا قد كنت أحفظ هذا البيت لأمر الشعراء منذ نعومة أظفاري، ولا ألقى لمعناه بالا، حتى واتاني الحظُّ بقاء مع صانع الأجيال ومربي الرجال في طور التلمذة، فما تخطيت عتبة التلمذة منذ عرفته، ولم أذكر أني استغنيت يوما عن الاغتراف من معارفه وسجاياه، رغم طول عشري له، وكثرة اتصالي به في الحضر والسفر، وفي حال الرضا والغضب، والحزن والطرب، فأنا دوما أتعلّم، وهو أبدا يعلم، وهو الصانع وأنا المصوغ»⁶.

ومن علامات تأثير الشيخ في تلامذته أنّه كان يرّيهم تربية روحية

سامية، تتجاوز تلقين المعارف إلى ترسيخ السجايا الحميدة، والخلال الإسلامية العالية، ويستشف ذلك من خلال إشادة الكاتب بهذه الصفات، وتركيزه عليها... كلما تكلم عن علاقة الإمام بأبنائه التلاميذ، وحسب القارئ أن يقف عند فصله الرائع "كان حديثا حسنا"⁷ ليدرك بعض هذه الخلل التي غرسها الأب في أبنائه، وهي لعمرى صفات يتقرأها الجليس عن كذب، والمعاشر بلا سبب، في مدّة وجيزة، ومن بعد الجلسة أو الجلستين، لأنها في الشيخ حمو سجايا طبيعية وأخلاق فطرية، ولعل من أبرزها الاعتداد بالنفس، والصراحة، والوضوح، والجرأة، والشجاعة، والشعور بالمسؤولية، والذوق الجميل، والظرف والفكاهة، ويتوّج كل هذه الخلل موهبة إلهية من بدهة حاضرة، وذكاء وقاد.

على أن الشيخ حمو - لوفائه وتواضعه - يرجع ذلك أيضا، إلى الوسط القراري الذي ترعرع فيه مدّة ثماني سنوات أيام الطلب، وذلك حيث يقول: «وهنا يطيب لي أن أعلن - اعترافا بجميل القرارة - أن السنوات التي قضيتها بها مغتربا ضمن مجموعة الغرباء، هي التي كوّنني واكتشفت فيها شخصيتي، فكانت لي خير عون على مجابهة ما ينتظرني من تقلبات وصعوبات في الحياة العملية، لما ذقت خلالها من عينات الصراع في المجتمع الكبير، فخرجت كالمطعم ضدّ جميع الأمراض المتوقعة، وبرزت وفي سجيّتي أن أحمل الكلّ وأكسب المعدم وأعين

على نوائب الدهر، وفي روعي أن الحياة أخذ وعطاء، ومدح وقدح، وهجر ووصل، وجدّ وهزل، وصفاء ورياء، وأن ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون»⁸.

«...سعدت بالبقاء بالقرارة ثماني حجج أصنع على عيني الأب الحاني الشيخ بيوض رحمه الله، ولو شئت أن أشق عليه لأتممت عشرا، ولكنّ انتقال أترابي أوحشني، فلحقت بهم سريعا إلى وطني، إلّا أن انتقالي كان فرصة ثانية للتدرّب على العمل في حقل الصالح العام، والتمرّس بأساليب القيادة تحت إشراف أستاذي ولو من بعد، ذلك ما يتجلّى لكم من خلال رسائله إليّ أثناء غيابي في العطل، وبعد دخولي معركة الحياة العملية، فأنا مدين له بالمرية والفضل ما حييت ... وأشهد الله، وأشهدكم شهادة صادقة أدلي بها بين يدي ربنا يوم الحساب أنّه بلغ الرسالة، وأدّى الأمانة، وأخلص العمل حتى أتاه اليقين»⁹.

وهو عندما يسمّي شيخه أبا مربيا حونا، لا يفعل ذلك مجاملة أو مباهاة أو تزلفا ومداجاة كما يفعل بعضهم، ممن فضحتهم السنوات العجاف، وأبانت عن زيف فيهم ونفاق، وعقوق وشقاق، ولا أدلّ على ذلك من رسائل الشيخ الإمام إلى ابنه التلميذ الوفي، وما فيها من نصح وإرشاد ووعظ وتوجيه، نقف بالقارئ عند بعض المواقف بالذات، مثل تأنيب الأستاذ لتلميذه - وهو ما يزال طريّ العود - لأنه

تَهَرَّب من مسؤولية كَلْفه بها، وإلحاحه عليه في تقوية نفسه، وإعدادها لتحمل العظام والمكارم. وهل يقول قائل اليوم إنَّ الشيخ حمو فخار لم يتحمَّل المسؤولية منذ أُسندت إليه، وهو لم يشتك منها قطُّ حتى أحتت ظهره المسؤولية، وعكر مزاجه الضعف الذي هو سُنَّة الحياة، ألا تكون هذه الخلَّة المتأصلة في الشيخ حمو اليوم، هي من غرس الأستاذ وسقيه، ودعوته وسعيه، واقرأ معي هذا الأدب الرصين:

«...إني ألاحظ في كتابك شكاة تفتنت في عرضها، وقد سمعتها منك مشافهة مرَّات، وأخوف ما أخافه أن لا تزال بها ولا تزال بك حتَّى تصبح خُلُقًا متمكَّنًا، وفجعة راسخة؛ فتصاب بذلك الداء الويل الذي أصيب به كثير من المثقفين وذوي الكفاءات، فحسروا أنفسهم وخسروهم أمهم، ذلك هو داء الخوف من تحمُّل المسؤوليات، وتقلُّد التبعات، والفرار بكلِّ وسيلة وطريقة من ميدانها.

ذلك الذي قعد برجال أيِّ رجال عن تسنُّم ذرى الكمال، وذلك الذي يعدُّ في شرع الجهاد والتضحية جنبًا شائنا وفرارا من الزحف، فأعيزك بالله من هذا الداء الويل والخلق الشائن»¹⁰.

4- هي وثائق لرسائل:

لقد تنوعت محتويات الكتاب ما بين المقال والخطبة والتقريب والرسالة، كما تنوعت واختلفت في مبنائها ومعناها، منها ذات الطابع

النقدي، والوصفي، والتحليلي، والإخباري، وكلَّما خلت رسالة من فائدة تاريخية، أو فتوى دينية، أو صبغة أدبية... لأنَّ كاتبها كان يحتفل بها احتفالاً، ويستعدُّ لها استعداداً، وكانت الرسائل في المرحلة التي عزَّت فيها وسائل الاتصال الأخرى، كما كانت في عهود الأدب العربي الذهبية، فصولاً من الأدب الرفيع، فيها الحكمة، والموعظة، والخبر، والفتوى، والنكته... وغير ذلك مما لذَّ وطاب من وسائل المعرفة وضروب العلم، وهي قبل هذا وذاك وثائق تاريخية للتاريخ الثقافي في الجزائر في عصرنا الحديث، في حقبة تمتدُّ من بعد الحرب العالمية الثانية حتى بداية الثمانينيات، شهدت أحداثاً، وعرفت تقلُّبات، وتركت في الأنفس والمشاعر بصمات، منها المحلي المتعلق بوادي ميزاب، ومنها القطري المعني بالجزائر، ومنها العالمي المهتم بالعالم العربي والإسلامي.

5- رأيي حول الكتاب:

وعلى الرغم من إعجابي الشديد بما احتوى عليه الكتاب من قيمة تاريخية وأدبية تعتبر مصدراً هاماً للكتابة عن الإمام، فإنَّ هذا لا يمنع من أن أبدي رأيي فيما كتبه الشيخ حمو بين دفقي الكتاب، ولو بصفة عامَّة، هي في الحقيقة رؤيا معجب وليست رؤية ناقد.

ولا أحسب أنَّ مثل هذه المؤلَّفات تحتمل النقد، ولا المناسبة تستسيغه، وقد قلت سابقاً إنَّه ليس لديَّ الجرأة على أن أرفع عيني

متفحّصاً في ملامح وجه الشيخ حمو الوقور المهيب، فليس ذلك شأن التلميذ من الأستاذ، ولا الصغير من الكبير، فإنَّ غضَّ الطرف والاكتفاء بالنظرة العابرة أحزم وأحكم، وهي قبل هذا وذاك خلق إسلامي فاضل، وقديماً قيل: «من أخذ بروعة القمر لم يفكر في جانبه الآخر». ومع ذلك فإني أقول مستسمحاً شيخني وأستاذي:

إنَّ إخلاصه المتفاني، وحبَّه العميق للأستاذ الإمام، دفعه أحياناً إلى بعض المبالغات التي جاءت في شكل مقارنات بين الإمام وبين بعض الشخصيات الدينية أو العالمية، تبقى محلَّ نقاش وجدال، بل قد تكون عند البعض محلَّ رفض واستنكار. ولعلِّي ممن يختلف مع الشيخ في بعض تلك المقارنات، ولكنني مع هذا أقدرَّ الطرف الذي دفع به إلى كتابة ما كتب، أو الخطابة بما خطب، وهو تأثير عاطفة الشبَّانية الملتهبة في حركة كان التلامذة فيها مجنّدين بالفكر والقلم، ومهما يكن الأمر فإنَّ اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية، وكلُّ رأي محسوب لصاحبه أو عليه.



وهكذا يمكننا القول إنَّ هذه المجموعة من الرسائل زادت وفير، يستفيد منها خلق كثير، كلُّ حسب اختصاصه ومهنته، ويستخلص منها العبر والدروس كلُّ حسب اهتمامه وانشغاله، فمنها يستجلي المربُّون كيف تُبنى العلاقة بين الأستاذ والتلميذ، لتصبح أبوةً روحية رحيمة، تهدف إلى التربية والرعاية، قبل أن تهدف إلى التعليم والتمهين،

في الوقت الذي أصبح فيه التعليم فارغاً من محتواه التربوي، معطلاً من حنانه الأبوي، وبذلك فقدَّ التعليم أسمى ما يهدف إليه، فأصبحت العصامية في بعض الأحيان أجدى على التلميذ وأنفع. ويتعلَّم منها المصلحون والدعاة طرائق الإصلاح المبتغاة، ومنهج الدعوة إلى الله، وما ينبغي أن يتصفوا به من صفات وخلال، في وقت أصبح فيه الإصلاح مهزوزاً قضياً، وباتت الدعوة مهارتات كلامية وعنفاً دمويًا. ويجد فيها المؤرِّخون والباحثون معلومات ووثائق وتسجيلاً عفوياً لبعض الأحداث التاريخية الهامة، قد لا يجدونها في بعض السجلات الضخمة، لأنها شاهد عيان على فترتين من أهمِّ الفترات التي مرَّت بها بلادنا ووطننا وهي الاحتلال والاستقلال، على أنَّ الطريقة التي كُتبت بها تميّزها عن غيرها من الكتب ذات الطابع التاريخي، لما تتميز به الرسائل عادة من حرارة وعفوية وصدق، وما كان فيها بالأمس أسراراً خفية، يصبح بعد مرور الزمن عليها شهادات وفيه.

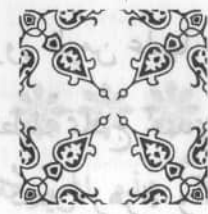
ويلقى فيها الأدباء والخطباء نماذج تحتذى للأدب الرصين، والسبك المتين، وقطعا من الرياض كُسين زهرا، وأحاديث ممتعة هي من بليغ النثر، تكاد تكون شعرا.

ولقد كان في تقديري، قبل أن أقطع شوطاً في قراءة هذا الكتاب القيم، أن يحتوي التقديم على نتائج مستخلصة، قد تسهّل على القارئ الكريم التركيز حول بعض القضايا ذات النفع العميم، وإذا بي أفاجأ

بالشيخ هو فخر مؤلف الكتاب قد سبقني إلى ذكر هذه النتائج بعرض جميل وتحليل طويل¹¹، بل أراه توصل إلى نتائج هامة لم أكن لأتوصل إليها بنفسي، وبذلك مهد لنا طريقا ذلولا، وألغى الوساطة بينه وبين قارئ كتابه مشكورا مقبولا؛ فجزى الله عنا الشيخ هو فخر خيرا جزيلا، وتغمّد الإمام الشيخ بيوض في ثراه بنعيمه ورضوانه بكرة وأصيلا، وجعل هذا العمل من أحد أبنائه الأوفياء دعوة صالحة وعهدا موصولا، ورسالة قيّمة إلى الأبناء، من آباء صدقوا ما عاهدوا الله عليه وما بدّلوا تبديلا.

د/محمد صالح ناصر

الجزائر في 15/10/1999



مناقب القائد المرئي⁽¹⁾

القسم الأول

◉ مناقب القائد المرئي

◉ رجل الوقت

◉ دعوة إلى الوحدة

◉ استقبال الزعيم المحرّر

◉ لماذا حجّ القائد النائب؟

◉ أسفر الصبح وظهر الحق

◉ مرحبا بالباشاغا في القرارة

◉ سلام عليك يوم اعتقلت ويوم أفرج عنك

مناقب القائد المربي⁽¹⁾

بسم الله الرحمن الرحيم الذي خلقنا من نوره
 وصلّ اللهم على نبيّك الكريم، وعلى آله وصحابه، وورثه خلّقه
 العظيم.

لي كلّ الشرف أن أبدي عرضاً سريعاً عمّن ملأ سمع الدنيا
 بالباقيات الصالحات، وعمر أقطار نفوسنا حبّاً وبجَلّة مبدى الحياة...
 أستاذنا وموجّهنا وقائدنا ومرّيّنا: الشيخ يُوّض إبراهيم بن عمر، رضي
 الله عنه وأرضاه

وبما أن جوانب عظمته متعدّدة لا تكاد تحصر؛ فسوف أقصر
حديثي على الإعراب عن بعض سجاياه الحميدة، التي قادت به إلى
السؤدد، ونظمته في سلك أفذاذ التاريخ الخالدين....

وأول ما يحلو لي أن أضفي عليه من صفات الأبطال: أن ه
السهل الممتنع، فما أحسب الشاعر يعني إلاَّ إيَّاه حيث قال: *دولة كمال*
دان إلى أيدي العفاة وشاسع *عن كل ند في الندى* وضرب

كالبدر أفرط في العلوّ وضوءه للعصبة السارين جدُّ قريب
فأنت عندما تراه لأوّل وهلة — تحسبه — في تواضعه ومواتاته

(١) — كلمة ألفت في ذكرى تأبين الشيخ يُّوض رحمه الله، بالقرارة يوم ٢١ جمادى الأولى موافق: ٢٧ مارس ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م.

بينهما مية بالانقضاء
د/محمد صالح قاضي
? بيننا وبين القاض
الجزائر في 15/10/1999
قطر والى جسرنا فيه

ق. ابقار في لفة ليل البصره

لمحدثه، ودمائه ورقّة صوته، من أبسط الناس وأعماقهم في السذاجة،
 فيغيريك حتّى لا تشكّ أنّك — على الأقلّ — مع ندك، فترفع صوتك
 فوق صوته، وتمدّ رجلك بمجلسه، وتزجي الحجج على مدّعاك
 متلاطمة أمواجاً، وتلجّ تبني من الخيال تصوّراً وأبراجاً؛ وإنّك لكذلك
 فإذا هو يشرق عليك بمنطق سليم، ويتصدّى لك برأي حصيف،
 ويأسرك بلطف فاتن، وسحر أخاذ.... فتدرك — فجأة — أنّك
 تلقاء طود شامخ وسيل هدّار... أخرى بك ثمّ أخرى أن لا تعرّض
 نفسك للفضيحة بالعناد والإصرار، وتكفّ عن المجاراة قبل نهاية
 المشوار...

وذلك هو السرّ في أنّ مناوئيه يتهرّبون من الاجتماع به ثانية بعد
 الأولى، وكثير منهم يكتفون بما بلغهم عنه؛ فيشردون شرود حمر
 مستنفرة، فرّت من قسورة... إلى اتّاناً غلبت في اجتماع...
 وعفا الله عمّا سلف ممّن التجأ إلى سلاح العاجزين: السبّ
 والاتهام، أو العنف والإجرام... إلى زعماء لا يمتثلون لأوامرهم
 أمّا ثانية خلاله التي تضعه في صفّ جبابرة الفكر في عصره،
 فالاعتداد بالنفس:

جبهه يوماً أحد منافسيه بقوله: «إنّك وحدك تنفرد بهذا الرأي»،
 فردّ عليه في بداهته المعهودة: «ومتى استوحشت من الوحدة؟».

واستفزه آخر بقوله: «إنّك تحسب نفسك ملك هذه الربوع»،
 فكان الجواب: «ولم لا».

وبهذه الروح القويّة راح مع الأيام يتخطّى الرقاب وسط الزحام
 ويترنّم مع أبي ليلي أنشودته الباقية:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهر (١)
 وعلوّ الهمة: ذلك ما امتاز به شيخنا المنعم عن كثير من العلماء؛
 ولو سئل عن أشعر الشعراء، ما كان يختار غير قائل الأبيات المحبّة إليه:

ولم أقض حقّ العلم إن كان كلّما بدا طمع صيرته لي سلماً
 ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيت ولكن لأحدا
 أشقى به غرساً وأجنىه ذلّة إذا فاتباغ الجهل قد كان أحزماً
 ولو أنّ أهل العلم صانوه صانهم ولو عظّموه في النفوس لعظماً
 ولكن أهانوه فهان ودنّسوا محيّه بالأطماع حتّى تجهّما (٢)

فلن تجد له في تاريخ كفاحه الطويل المرير ما يشينه من ثلّق
 الأغنياء لثرائهم، أو أصحاب الجاه لسطوتهم، رغم قلّة ذات اليد،
 وكثرة العيال، وتكالب الأعداء من كلّ جهة، ومن كلّ لون....

وإن أنس لا أنسى تلك الحكمة الخالدة الماثورة التي كان يرددها
 على مسامعنا ويحفّظنا إيّاها: «أتدرون ما جهد البلاء؟ حاجة الكريم

(١) — البت للناطقة الجعدي.

(٢) — هذه الأبيات منسوبة إلى القاضي علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ)، انظر الماوردي أبو الحسن علي بن محمد، أدب الدنيا والدين: تعليق محمد

إلى اللّيم — ثمَّ يردُّه...»
فكلُّ من اتَّصلوا به من ذوي المناصب والثراء، إنَّما كانوا هم الذين سجدوا لآدميته، ولم يكن الذي أخلد إلى الأرض واتَّبع هواه... وإذا شدَّ في الناس عن الاعتراف بفضله شرذمة قليلون، فقد أنكرت الشمس مقلَّة عمياء.

ومن علوِّ الهمة إلى ما يملأك إعجابا بالمحتفل به — عطَّر الله قبره — وما ذاك إلاَّ شجاعته الأدبية الفريدة في نوعها، وخير مظهر لها مجاهداته المستمرة للحكَّام العسكريين، الذين ضجُّوا من مقابلته حتَّى تحاشوها؛ لما كان يبهتهم به من الأجوبة المسكتة، ويقلب عليهم من الأسئلة المخرجة، ويتحدَّاهم غير هيَّاب ولا وجل، وكم رفع الأحرار منهم أيديهم بالتحية له اعترافا وتقديرا لسداد نظريته، ووضوحها ونصاعتها «وأفضل الجهاد كلمة حقَّ عند سلطان جائر».

وفي هذا الباب كان يشيد بديوان الحماسة لأبي تمام، من أجل ما يحويه في مطاويه من روائع، وكان من أعزِّ مختاراته التي يحفظها هذه المقطوعة الغالية:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من دُهل بن شيبانا
إذن لقام بنصري معشر خشن عند الحفيظة — إن ذو لوثة — لانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا
لكن قومي وإن كانوا ذوو عدد ليسوا من الشرِّ في شيء وإن هانا

كأن ربَّك لم يخلق لحشيتهم سواهم من جميع الناس إنسانا^(١)
ثمَّ ماذا؟
ثمَّ إنَّه بقدر ما كان — رحمه الله — يحبُّ الشجاعة ويتغنَّى بأمجادها؛ كان ييغض الجبن ويمقت الجبناء، ولا يطرب لشيء طربه لقول مفدي زكرياء:

إنَّ الجبان على البلاد مصيبة عظمت فيا أرض ابلعي الجبناء^(٢)
فما أن يسمع البيت حتَّى يهتف قائلا: لا فضَّ فوك يا مفدي، لعلَّ الله يغفر لك من أجل هذا البيت الخالد خلود الشجعان.

والخلد في الدنيا وليس بهيِّن عليا المراتب لم تتح لجبان
فلو أن رسل الله قد جبنوا لما ماتوا على دين من الأديان^(٣)

وإذا نظمنا فقيدنا — برَّد الله ثراه — في سلك الشجعان الذين قلما يجود بهم الزمان، فطبيعيُّ أن تستتبع الشجاعة أخواتها من السجايا العطرَات، كالصراحة والوضوح؛ وليس ذلك فحسب، بل إنَّه كان يمتعضُّ ويشمئزُّ كلما صادف بوادٍ الالتواء، والمواربة والمداجاة، من الذين مردوا على النفاق، ويعظنا محذرا: إياكم وأخلاق الأرذلين فما

(١) — الأبيات لقريط بن أنيس أحد بني العنبر، انظر: أبو تمام: الحماسة ١/٣، مطبعة السعادة مصر، ١٣٣١هـ/١٩١٣م.

(٢) — البيت من قصيدة "أهلا بنسل الفاتحين ومرحبا"، انظر د. محمد ناصر: مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة، المطبعة العربية غرداية ١٩٨٤، ص: ١٦٦.

(٣) — شوقي: الشوقيات، دار الكتاب العربي دت، ١٥٨/٣.

عاق سِير المصلحين في الأرض غير التواءهم؛ وتأولاتهم، وتحولاتهم، وتقولاتهم.

أيها السادة، ويا أيها القادة:

هل تدرون ما الذي كان يهيمن على سلوك الشيخ يُبَوض وتصرّفاتُه؟

إنَّها ملكة الشعور بالمسؤولية، وما أدراك ما الشعور بالمسؤولية؟

فكم لامة اللاأثمون على إزهاق روحه بالسهر، وإرهاق نفسه بالسفر، وكثرة النظر، وإعمال الفكر، فما كان جوابه إلا أن قال:

«وما عساني أصنع والشعور بالواجب قد تملكني، وأخذ عليّ أقطار نفسي؟».

ألا ليتني لم أشعر !!! كلاً ! بل من نعمة الله عليّ وعلى الناس أن أشعر.

فلْيَع هذا الدرس الرفيع المهازيل؛ الذين يرومون بناء الجزائر بالشعارات والأقاويل....

دبّبت للمجد والساعون قد بلغوا جهد النفوس وألقوا دونه الأزرار

وكابدوا المجد حتّى ملّ أكثرهم وعانق المجد من أوفى ومن صبرا

لا تحسب المجد تمرا أنت أكله لن تبلغ المجد حتّى تلعق الصبرا (١)

(١) — تنسب الأبيات إلى رجل من بني أسد، انظر ابن بسام: الذخيرة القسم الرابع مـج

أيها السادة؛ ويا أيها الطلبة:

من خاصيّات أستاذنا أنّه كان أستاذ نفسه، ونسيج وحده؛ فما هو بخريج جامعة، ولا وليد دمشق ولا قاهرة؛ وإنّما هو سليل الدأب والطموح، والعزوف عن الدنيا التي طالما تعرّضت له بمغرياتها، وراودته بمفاتها، فأراها أيما شمم.....

أعانه على ذلك عاطفة نحو العلم مشبوبة، وقريحة موهوبة، ووراثه في الأملية والنبوغ عريقة، وتوجيهات أمّ فحلة على أحسن طريقة:

نفس عصام سوّدت عصاما وعلمته الكر والإقداما

وصيرته سيّدا هماما

أيها السادة العاملون بكلّ الحقول:

لعلّكم تتساءلون عن سرّ انتصارات شيخنا وتوفيقاته في شتّى مجالاته؟ أجل ! وردّا على ذلك أقول: ليس الأمر يعود إلى تفوّقه الذهنيّ — رحمه الله — بقدر ما يعود إلى سموّه الروحيّ، وأعني بذلك التقوى، وخلوص النية مما يحبط الأعمال ويفسدها: كشوائب الرياء، وحبّ المحمّدة، وتعشّق الظهور. فشيخنا — أكرم الله مثواه — لا يقدم حين يقدم طمعا في مغنم من مغنم الدنيا الرخيصة، ولا يحجم حين يحجم فرقا من مغارم الكفاح المضنية؛ وإنّما يقبل حيث يظنّ مرضاة الله، ويرجو مثوبته، ويدبر حيث يتوقّع سخطه، ويخشى عقابه؛ ومن

كان في مثل حاله لن تراه إلا قوياً عملاقاً، ذا معنوية سامقة لا تعرف النكوص، واثقاً بالنصر والغلبة على كل شيء في الوجود، ولو بعد حين؛ لأن معية الله ثابتة في أحشائه، غائرة في أعماقه، تجري منه مجرى الدم من العروق. كيف لا! والمولى يقول جلّ وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [سورة النحل: ١٢٨].

أيها السادة الأدباء:

لعل من أجمل ما يجدر التنويه به من خصائص الشيخ — متعاه الله بمفاتيح الفردوس — ذوقه السليم في النقد والانتقاء، وحسّه المرفه في تذوق الجمال حيثما وجد في أشكال وأزياء؛ في بيت من مدر، أو شعر أو شعر، وأوشك أن أقول: وعود ووتر... يستهويه الإبداع، ويسلب لبّه حسن الإيقاع، يستملح الطرف ويتهالك على النكت، يتلقفها تلقف اللفهان، فيقذف بمثلها في أسرع من لمح البصر، حتى لا يكاد يتفطن لها غير النبهاء من الجلاس.

شكا لمحدثه — يوما — انجذاب البق إليه؛ فقال المحدث الأديب:

إذن يا شيخ: (ولو أن واش؟) فما كان من الشيخ إلا أن أتم

البيت دون توقّف لحظة:

ولو أن واش باليمامة داره وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا (١)

ورأى — يوما — بمجلة الرسالة المصرية نقدا فاستنكر الناقد؛

فلما اطلع الشيخ البشير الإبراهيمي بعده على النقد استنكره هو الآخر، فقال الشيخ بيّوض: لما رأيت الإبراهيمي لأول مرة أكبرته، ولكن عرفت عمقه لما رمى بالمجلة لمجرد وقوع بصره على النقد الذي استنكرته؛ ومحل النقد كلمة سجيّة في البيت المشهور:

فلا تحسبوا هندا لها الغدر وحدها سجيّة نفس كل غانية هند

فالناقد يرى رفعها؛ والشيخان لا يسيغان إلا نصبها؛ وإلا ذهبت روعة البيت، وهدرت المعية الشاعر.

أيها السادة المثقفون:

ما زال من أقبح عيوب العالمين والمتعلّمين: الاكتفاء بمصّة الوشل من العلم، والقناعة بورقة الشهادة من الإدارة المختصة؛ الأمر الذي ما زال أعدى عدو للشيخ في آخر ومضة من حياته....

فهو الشغوف بحب الاستزادة دوما، المنهوم الذي لا يشبع من الاستيعاب والاستقصاء لكل ما دونه القدماء والمحدثون من مفكّري الإسلام؛ على اختلاف مللهم ونحلهم، ومذاهبهم ومشاربهم؛ حتى يتمكن من الاستزادة — على ضوء أبحاثهم — من كل الوسائل المستحدثة لصالح المسلمين....

لذلك كان واسع الأفق فيما يصدر من فتاوى، يدلك على ذلك دعوته الملحة في مستهل كفاحه إلى تولّي العمل في الإدارات الحكومية تحت السلطة الاستعمارية؛ درءا للمفاسد، وجلبا للمصالح، ثم فتواه

المبكرة التي أقامت ميزاب وأقعدته أربعين عاما بجواز العمل بخبر (التيلفون) في الصوم والإفطار؛ ثم ما تلا ذلك فور الاستقلال: كالعودة إلى صلاة الجمعة، ووجوب العمل ببناء السلطان في الدولة المسلمة، والعمل بالحساب الفلكي في العبادات إذا أمكنت رؤية الهلال، والإحرام من جدة للحاج عند الاضطرار، وطعام الذين أوتوا الكسب؛ وغير ذلك من معضلات العصر، كالعمل في البنوك، وصندوق التوفير، والمنح العائلية، والتأمين بأشكاله المختلفة، ونكاح المزنية، وهلم جرا وسحبا.

لا أزعم أنه أفق بالجواز في هذه القضايا الأخيرة كالأولى؛ ولكنني — فقط — أسجل أن له بها رأيا بحكم ممارسته الطويلة لأُمّهات الكتب لا يتسنى لغيره — ببسر وسهولة — من المقصّرين... وشيخنا — رغم تدمره الشديد ممّا يعرض على شاشة التلفزة ممّا يتناقى وأخلاق الإسلام — لم يُفتَ بمنع اقتناء التلفزة ولكنه يأمر بالفرز، والحوطة والحذر؛ ذلك أن من رأيه: أن المفتي مسؤول عن تحريم الحلال، بقدر ما هو مسؤول عن تحليل الحرام، وكلاهما مزلة...

والشيخ — أسكنه الله فسيح الجنان — من ألمع الشخصيات التي عرفنا في هذا العصر من حيث التوسط والاعتدال، بين المفرطين والمفرّطين؛ فبينما يرجّح بعض العلماء التمسك بظاهر النصوص ولزومها؛ ويرى الآخرون التحرّر من قيودها، ويسرفون في استعمال المنطق، وتحكيم العقل؛ نجد أستاذنا يؤثر الجمع بين الطريقتين بالتفقه في

المن: آية كان أو حديثا، واستنباط الأحكام على ضوءها لما جدّ من أحداث، مستلهما ما أحاط بالقضية من ظروف وملابسات، معتمدا قول علم الأعلام شيخ الإسلام: «ليس العالم من حمل الناس على ورعه، ولكن العالم من أفق للناس بما وسعهم من العلم».

وبعد — فهل لي وقد أشرفت على ختام هذا العرض الموجز أن أدلّكم — أيها السادة — على مفتاح شخصية الشيخ يّوض — رحمه الله — ورأس الأمر في سلوكه وذروة سنامه...؟؟؟

إنّها خلق "الرحمة" التي حصر المولى فيها رسالة محمد سيّد الأنبياء ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٧].

أي وربكم — يا من تنشدون القدوة — وتبتغون الأسوة؛ ما كان فينا وارث محمد إلا رحمة للأمة، وقليل جدّا من لم يصبه وابلّه أو طلّه، إلا من أبي...!!!

ومن أبرز مظاهر الرحمة فيه حرصه على توحيد الصفّ حرصه على توحيد الرب، فقد كان يرى أن من مكملات إيمان العبد بل من مقوماته لمّ الشعث ورأب الصدع، وتأليف العناصر....

ووقفته التاريخية المشهوددة في سبيل وحدة الشمال والجنوب في الظرف العصيب أعظم شاهد...

كما أن كفالاته — تعليما وإيواء — ما ينوف عن ستين عاما أبناء المسلمين من جهات القطر، وبعض أطراف العالم الإسلاميّ أبلغ دليل...

أضف إلى ذلك ما بذله من جهد مضمّن ممض في سبيل رتق الفتوق بين الجماعات، وبين آلاف الأزواج والخلطاء، وبين القبائل والأعراش، من سكّان الحواضر ورواد البوادي؛ يأتي الجميع إليه من كل صوب وحذب واثقين بخبرته وعدله، لائذين بحنوّه وعطفه، مطمئنين لتدخله وشفاعته، يأتون من كل فج عميق، ويذرون ما خلقت لهم فرنسا من محاكم ومحاريب، وما نصبت لهم بها من نصب وتمائيل، هي أوهن من كيد ساحرة، تظن أن يفعل بها فاقرة. !!!

ومن أروع مظاهر الرحمة في قلبه المفعم كرماً وسماحة أنه كثيراً ما أعلن عن عفوه الكامل الشامل لكل من أساء إليه بأي نوع من أنواع الإساءة في الظهور والخفاء...

وزاد فأذاع أن: «من سؤلت له نفسه سبّي وشتمي عند خصمي ليحصل على مغنم، أو ليعفى عن مغرم، فله من المكافأة مثل ما لعزّة من جِبّها كثير».

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزّة من أعراضنا ما استحلّت أسيتي بنا أو أحسني لا ملومة لدينا ولا مقلية إن تقلّت ومن ينبوع الرحمة المتفجرة في قلب شيخنا — رحمه الله — سرى نور الأمل في أرجاء نفسه، فغدا التفاؤل مذهبه ومنهجه في الحياة، وراحت أنشودته المفضلة تلك التي تترنم بالحب والظهر والحق والجمال؛ وتحت على الإيثار والبذل والنوال، وتوقع على أوتار الإيناس

والصفاء بأنامل الغنج والدلال؛ وآية ذلك أنه كان شديد الهيام بقصيدة شاعر المهجر إليا أبو ماضي، والتي مطلعها:

قال السماء كثيبة وتجهّما قلت ابتسم يكفي التجهّم في السما^(١)
فيا من تود أن تقطع أيام النصب واللغوب في دعة ويسر، عليك باصطحاب وصفة شيخنا الصحيحة المحرّبة: الابتسام، والرحمة... فهو أجدى عليك من الأقراص المسكّنة، والمشروبات المخدّرة، طالما أن التفاؤل — في قلب المؤمن — دليل الطمأنينة والرضى بالمقدور، والتوكّل على العزيز الرحيم، في جميع الأمور....
سادتي ولّة الأمور: مريين، ومفتين، وسوّاس، هناك حكمة مأثورة تقول: «من عرف كثيراً غفر كثيراً».

فهل تأذنون أن نضرب لذلك مثلاً؟...
أصدق مثل سنجده في سيرة المحتفل به المصلح الاجتماعي الجليل:

كان تحرّيه يأبى عليه، ويأبى له — أن يصدر فتواه، أو يبدي رأيه فيما يعرض له من خصومات، ويواجه من مشاكل، إلا بعد اتصال وثيق بالأطراف المعنية، ليلمس موطن الشكوى بيده، ويسمع الدعوى بأذنه، وبكلمة واحدة: كان يمتحن كالميكانيكي في حرفته، تحليلًا وتركيبًا، صبرًا وجلداً، ويتقمّص كالممثل البارع شخصية كل من

(١) — إليا أبو ماضي: الديوان: ٦٥٥، دار العودة بيروت ١٩٨٦م.

المدّعي والمدّعى عليه؛ ليرى القضية من وجهة نظريهما، حتّى لا يخطئ في نسبة المظلمة لأيهما. وهذا الأسلوب الصارم مكّنه من ثروة غزيرة في دراسة النفوس، وأطلّعه على كثير من دوافع الخير والشرّ في خلجات الضمائر، ومكامن الضعف في الكائن البشري، وأضاء أمامه منعطفات التردّي والانزلاق في طريق الشباب، وأكسبته ملكة فذة للتعرف على دروب الحيرة والزيف في حنايا المضللين...

ونتيجة لذلك أمسى لا يستغرب تصرفاً شاذاً. وبالتالي لا يسوع بمؤاخذه، ولا يشتطّ في حكم، ما وجد مندوحة للاحتمال، ومسوّغاً لدرء الحدّ بالشبهة، ومبرراً للتيسير.

ومن أجل هذه المنهجية السليمة في علاج أمراض المجتمع، والعبقريّة الرشيدة في القضاء والإفتاء، كثر مریدوه وأتباعه، وانداحت دائرة محبيه ومحبيه وأنصاره.

وهكذا أشاع من ضاق عطنه أنّه من المتساهلين في الدين، لما وجدوا فتاويه تتسم بالواقعيّة، وأقضيته تصطبغ بروح العصر المتطوّر المتفتّح؛ ولو طال في الميدان مراسهم كما طال مراسه، وانكبوا على العلم والتضلع انكبابه، وانتصبوا للتدريس، وتفرّغوا للتنقيب والبحث تفرّغه وانتصابه؛ لعرفوا مقامه، ولرفعوا له اليوم تمثالاً !!! وإن كان عن ذلك في غنى؛ إذ لو كان يسيغ التمثال لرفعه لشيخه. (١) ولو كنّا

(١) — الشيخ الحاج عمر بن يحيى.

نسيغه نحن لرفعناه لكليهما؛ ولكن ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الشورى: ٣٦].

كلاً — وربكم — ما كان — رحمه الله — إلا وقفاً عند حدود الله؛ فلقد حاولت جماعة بدولة عربيّة — وكنّت في رفقته — أن تستصدر منه فتوى بجواز توزيع الخمر في فنادق إسلاميّة سياحيّة؛ بدعوى أنّها مورد لعدد من العائلات المسلمة؛ فقال: لا !!! بملء فيه؛ ثمّ عبّ لاءه العظيمة بالآية الكريمة: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ [سورة هود: ٨٩].

سادتي الكرام:

تلكم هي اللوحة التي وددت رسمها لشيخنا وعرضها في هذه السوق من خلال سجاياه الحميدة الطاهرة؛ وهي وإن بدت شاحبة اللون باهتة؛ فلأنّ المقام جدّ خطير، وقلمي — وإن طلت — قصير، بيد أنّي فيما قدّمت مرتاح الضمير؛ لأنّه الحقّ والصدق.

وحسي أنّي وقّفت لجمع موادّ أوليّة لمن يحسن صوغها، وضبطت ذرّات نوويّة لمن يحذق تفجيرها.

فأصبحوا والنوى عالي معرّسهم وليس كلّ النوى تُلقى المساكين ووداعاً لروحك العزيزة — شيخنا — في مرقدك الناعم الأخير؛ يا من كنت لنا الرائد والمثل، والسند والأمل، نلوذ بك إذا

اشتدَّ روعنا، ونستضيءُ بهديك إذا احلوك ليلنا، ونلقي على كاهلك
كلَّ ما أثقلنا من تبعات جسام، ونأرز إلى رحابة صدرك متى ضاقت
بنا الأيام، ونستقي الصبر من عزمك، ونفاد حدسك وبصيرتك...

ليهنك مقعد صدق عند مليك مقتدر في الذهبين، ولسان صدق في الآخرين...

ولتطب نفسا إتنا — إن شاء الله — على العهد باقون، وفي
الحجّة البيضاء سائرون...

فَبُتِّنا — اللهم — يا مقلبَ القلوب، وثبته على القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وحقق ظنه الحسن بنا، وظنه الكامل بعفوك، ومغفرتك، يا ودود يا كريم.

لم يعمل في العفو عليه كفء فأره كيف يكون العفو
وأفرغ اللهم علينا صبرا، وتوفنا مسلمين، والحمد لله رب
العالمين.



ليت شعري، ومن هو رجل الوقت إذن؟ هل أكون أنا؟...
كلاً... إن أنا إلا واحد من هؤلاء الناس.....
إذن هو أحد أعضاء العزابة المنتدبين للصالح العام، المتصدّين لحلّ
المشاكل وفضّ النزاعات، ودفع المضرّات.
بل أحد أعضاء الجماعة المسؤولين أمام الله والقانون عن حفظ
الأمن العام، وإقرار النظام والحرس على كلّ ما يؤدي إلى الفتنة
والتشويش والفوضى....

لا، ولكن المسؤول في القضية إنّما هي لجنة الحراسة الليلية
المباشرة لمسائل الاعتداءات، المتيقّضة لما تدبّره العصابات من ضروب
المكائد والمؤامرات لا يكون رجل الوقت إلا من هذه الهيئة
القائمة بالركن العظيم في السياسة والحرب، ركن التجسّس
واستكشاف المخبّات....
فهي أوسع معرفة بالمجرمين، ومواقع الإجرام، والأوقات المواتية
لذلك ... فهل كان حقاً رجل الوقت من هؤلاء؟....

لا... لا... يا صاح، لم يكن من أولئك ولا أولاء، ولن
يكون؛ وإن هؤلاء وأولئك إلا مثلي، أو في درجة أدنى....

ولكن رجل الوقت وواحد، وبطل المعركة المغوار... هو الذي
رأى رأياً فاتبعه بالعزم، وأردف العزم بالتنفيذ، فلم يهنأ له بال، ولم
يطب له مقام، حتّى انقضّ انقضاؤ الصقر على جرثومة

الجرائم.... وقد أعيت المهرة من الأطباء، واهتدى إلى الخصم وحده
وقد نبت عنه أعين الخبراء، وقصرت عن استكشافه أنظار أولي
النهي... وكل ذلك في ظرف من زمن قصير، توشك الفرصة
بانقضاضه أن تفوت، وتذهب إلى حيث لا تعود.

وهذا هو الذي كان أول من استطاع أن يصل إلى استكشاف
رئيس العصابة السوداء، التي طالما وطالما أخفت جرائمها السود تحت
ظلمات الليالي الخالكة، وسقائف الدروب الملتوية.

هذا لم يكن إلا رجل من بسطاء الرعيّة وعامتها؛ ولكن هل
ترى في الناس بعد اليوم أحقّ منه بمنصب العزابة والمشيخة^(١)
والحراسة؟....

كلاً بل أجدر الناس بهذه المناصب وتلك الألقاب، وأحقّهم
بنياشين الفخر والحمد، وأولاهم بالمقعد الصدق في جنة الفردوس، إنّما
هو ذلكم الرجل وحده....

إنّ مزيّة الرجل لم تكن كمزيّة بوليس مأجور يستكشف لصّاً
أو صعلوكاً فحسب، بل مزيّة وطنيٍّ غيور؛ حيرته فتنة ثائرة مدّة ثلاث
سنوات، ذهب ضحيّتها أناس أهرقت دماؤهم، وآخرون سُجنت
أبناؤهم، ثمّ لا تزال ممعنة في الالتهاب حتّى تبلغ إلى السلب والنهب
والاغتيال....

(١) — المراد هنا من الشيخ شيخ العشيرة لا شيخ العلم. (المؤلف)

وليس اغتيال شخصية من الشخصيات الحاملة، أو إزهاق روح من سائر الأرواح فحسب... ولكن شخصية زعيم أحب إلى الناس من كل شيء، حتى من أنفسهم، وروح خليفة من خلائف الأنبياء في الأرض؛ هي إلى الله أعز وأكرم من هذه الشمس والأقمار الطالعة على العالم كل يوم بالنور والحياة.... ومن هؤلاء الملائكة المقربين الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون...

نفس رجل لو مسك ذراعه يوما لمجرد الفصد لأقبلت الدنيا منشدة:

أيها الفاصد رفقا بأمر المؤمنين

إنما تفصد عرقا فيه روح العالمينا

فأكرم وأعظم بهذه الشخصية المحبوبة... وأعزز بذلك الخريت الذي سعى السعي الحثيث في قهر عدوها، ولم يأل جهدا في الإخلاص لها، والتضحية في سبيلها، فليس يسمو إلى مقامه، ويسامته في صنيعه إلا سميّه بطل الليل الهمام.

ذلك الذي يفاجئه العدو الكامن في جوف الدجى... في حالة أهدى ما يكون فيه قلبا، وفي أحسن الأمكنة عافية وأمانا، فيصمد إليه بقلب لا يعرف إليه الوهن سبيلا، ونفس مثل حدّ السيف جراءة وإقداما، ثم لا يكتفي بردّ الغارة، ودفع المهاجمة حتى يندفع على المغير فيدمغه بهراوته دمغة يسوي بها وجهه، فيصبح وقد توارى عن أنظار الناس في أقصى مكان....

وكم من سعى ليصطاد فاصط — سيد ولم يلق غير خفّ حنين فأعجب لعمل هذين الرجلين أيها الشباب، وليكن لك منهما خير مثال؛ فقد أنكيا العدو — والله — وأشفيا الصدور... تلك هي الكواهل التي شيدت عليها أركان الحق في كل عصر ومصر، وبنيت دعائم الإصلاح، وعلى أيديها خفقت ألوية السنة، وغلب حزب الله..

أعجب لعملهم ثم أعجب له ما استطعت، وتعلم أن الرجولة الحقّة، والرأي الحصيف لا ينحصران في القادة والآخذين بأزمة الأمور، كما أن درجة الإخلاص والتضحية لا ينتهي بها الحد إلا عند ذوي الشهرة بها... فكم في العامة من شياطين العبقريّة وجبابرة العقول، لو ساعدتهم الحظوظ ووافقتهم الأقدار أن يرتقوا إلى هذه المناصب، ويحرزوا على تلك الألقاب، لأتوا بالأمر العجيب...

وإذن فأجدر الناس بالطموح إلى تبوأ هذه المقاعد، أرباب الاستعداد... أعني أنت أيها الشباب المنوط بك مستقبل البلاد...

أما أنتم أيها العصبة المجرمون... فقد أتيتم شيئا إذا يكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدأ... فمن حقّ كلّ جمال في الوجود أن يحتجب، وكلّ كمال في البسيطة أن ينطوي.. نعم، من حقّ كلّ جمال وكمال أن يحتجب وينطوي احتجاجا على مثل هذه الفضائع....

ألا قد أسأت إلينا أيَّتُها الحمائم الصَّدَّاحَة إن لم تنوحي اليوم
نواحاً؛ وأذيتنا أيَّتُها الضفادع المنقنقة والصراصير الموسوسة إن لم
تنذري اليوم صوما....

صومي أيَّتُها الأشجار المخضرة الباسقة....

كوني هشيماً أيَّتُها البساتين الجميلة والخمائل الساحرة....

أذبلي أيَّتُها الزهور المفتحة الناضرة....

غوري أيَّتُها العيون النابعة...

اكسفي أو اخسفي أيَّتُها الأقمار الساطعة....

أين رعودك القاصفة يا رب تدمدم فوق رؤوس هؤلاء الكفرة
المجرمين....

أين صواعقك الجهنمية تنزل على مساكنهم فتنسفها نسفاً،
وتذرهما قاعاً صفصفاً، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً....

أيَّتُها الريح الصرصر أنزعهم....

ويا أيَّتُها الرجفة صبِّحهم...

وهشِّمهم أيَّتُها الصيحة، هشِّمهم....

يا أرض خذهم... ويا لَوَّاحَة البشر أصليهم واستأصليهم...

كفاكم أيُّها الأبالسة خسة وعارا أن أضفتم أنفسكم إلى طائفة
اليهود مختارين، واستبدلتم بدينكم وملَّتكم مكر اليهود وكيدهم،

فضللتكم كما ضلُّوا، وعصيتكم كما عصوا، وحاولتم قتل خلائف الأنبياء
كما قتلوا... ولم يبق إلا أن يضرب الله عليكم الذلَّة والمسكنة كما
ضربها عليهم؛ ويُرسِل عليكم الجراد والقمل والضفادع والدم، ويجعل
منكم القردة والخنازير، وعبد الطاغوت...

بل حسبكم ذلاً وهواناً... الخيبة والفضيحة، وأعماق
السجون....

لكن أنتم فضيلة الأستاذ الشيخ بيّوض... حسبكم كرامة وفخراً
وتأييداً سلامتكم وبقاؤكم للأمة والإسلام.... وكلُّ ما أقوله أراءكم
إنما هو تنقيص من مقامكم، وإظهار لعجزتي وقصري بين أيديكم....
وقصاري أمري أن أوكد لكم بأن النصر حليفكم، واليمن
معقود بنواصيكم، والنجاح مكلَّل أبداً مساعيكم.....

فما هذه المؤامرات والمحاولات بالنسبة إليكم إلا خزعبلات
وصبيانيات، بل ليست إلا من قبيل قولهم:

ضربتني بكفِّها أم معن أوجعت كفِّها وما أوجعتني

فما ضرَّ يوماً قمر السماء نباحُ الكلاب، ولا نقص الوشاة شيئاً
من هوى الأحاب والأصحاب...

كناطح صخرة يوماً ليفلقها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل^(١)

(١) — الأعشى ميمون بن قيس: الديوان، ص: ١٣٤، شرح مهدي محمد ناصر، دار الكتب
العلمية بيروت، سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

غير أن هذا الاعتداء الذي ملأ قلوبنا أسى وحنقا سيكون له أثر في الخارج كبير، فيما يستقبل من الأيام وليس معنى هذا أن نشكل مؤامرة للانتقام بطريق غير شريف.... — معاذ الله — ، ولكن بأن نسلك طريقكم الذي تنهجونه في معاملة الأعداء، ونتحلّى بأخلاقكم التي جبلكم الله عليها....

ذلك هو أمضى سلاح نعتمد عليه في الانتقام، فهو القضاء المبرور على كل حركة أو ثورة أو زوبعة تقوم ضدّ الإصلاح... وجنود الإصلاح....



دعوة إلى الوحدة^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علّم آدم الأسماء، وقال في محكم تنزيله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر: ٢٨].

والصلاة والسلام على جميع الرسل والأنبياء، وعلى حواريّهم وأنصارهم في ساعات الضيق وعند تكالب الغوغاء والدهماء....
سادتي الفضلاء، إخواني الأعزّاء:

في هذا المكان وفي مثل هذا اليوم من ربيع الثاني تقريبا، وقفت في ربيع الأوّل خطيبا؛ وها أنا ذا أعود لموقفي راجيا أن يكون صوتي إليكم حبيبا؛ لأنّي ما وقفت إلاّ للوحدة القومية لكم مهيبا، ولنداء الله فيكم بالأخوة الإسلامية مردّدا ومعيدا؛ وإنّه لجدير بكلّ من وقف في ربيع الأوّل احتفالا برسول الله ﷺ، أن يعيد وقفته في ربيع الثاني احتفاء بوارث رسول الله ﷺ فكلا الشهرين ربيع، وكلا الرجلين منيع رفيع، إلاّ أن الأوّل أدبه ربّه فأحسن تأديبه، والثاني هذّبه القرآن فأجاد تهذيبه !!!

(١) — خطاب ألقاه المؤلف في مدرسة الإصلاح بغرداية بمناسبة ترشّح الشيخ بيوض للنيابة في المجلس الوطني الجزائري سنة ١٩٤٨م.

سادتي:

لست أريد بوقفتي هذه أن أسرد عليكم سيرة الشيخ يُّوض
— رحمه الله — وكراماته كما سررت في احتفال المولد سيرة
الرسول ﷺ ومعجزاته، فالرجل لا يزال — بحمد الله — حيًّا تتحدث
عنه أعماله وتشعُّ على محيَّاه همَّاته وآماله؛ والنبى لم تسرد قصَّة مولده
ولم تقم الحفلات إلَّا بعد سنين من مفارقتة الحياة، على أنَّه لو بعث
حيًّا لأمر بمحو كلِّ معجزة غير القرآن، وما رضى بسرده باللسان مع
الإعراض عن تطبيقه بالأركان؛ ولم أقف له مرحبًا لأنِّي لا أعدُّه
ضيفًا نازلاً، بل قائداً باسلاً، جاء يتفقد جنده ويشدُّ ساعده ويوري
زند، وليت خصومه اعتبروه ضيفاً فأكرموا وفادته وأحسنوا رفاًده؛
ولكنِّي وقفت لأودّي التحية العسكرية، وأبابع عن الإصلاح بأجمعه،
وهذا وقتها : البيعة الرضوانية!!!

وما أشبه هذه الحملة الانتخابية التي يقودها هذا الرجل اليوم،
بتلك الحملة الحربية التي قادها الرسول منذ أربعة عشر قرناً، يوم بدر
الكبرى أو يوم الفتح الأعظم.

نعم، إنَّها وقعة بدر من حيث تكثُل هذا المِلّ من حزب الشيطان
أو تواطؤهم على الضلال لمحِق الحق طغياناً وكبرياء.

وإنَّها ليوم الفتح من حيث كثرة سواد المصلحين؛ وهرعهم
لتحقيق النصر من كلِّ حذب ينسلون.

ولكن هل أستطيع حقاً أن أودّي البيعة عنكم أيُّها المصلحون
الساكنون؟

نعم نعم !!! غير أنَّي أودُّ أن أذكركم بشيء قبل أن أمدَّ يدي،
وما ذلك إلَّا الأخوة الإسلامية التي هي أساس وحدة المسلمين في كلِّ
موطن... فقد بدا لي أن من المصلحين في هذه البلدة من لا يزالون
مسلمين ولمَّا يدخل الإيمان في قلوبهم.

وإلَّا فكيف انقسموا على أنفسهم في كلِّ وجهة من واجهات
الدين والدنيا؟ فأنت تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى.

فمالكي وإباضي في المذهب؛ وتابع للزعيم وتابع للبشير في
الحزب؛ وسبئي وجمعي في الصوم؛ وقلبي وحديث في المدرسة؛ وعربي
وميزابي في الانتخاب... وهكذا في كلِّ شيء لهم أو عليهم، حتَّى في
ماء شراهم ! فريق يهبه الأجنبي بأجنس الأتمان؛ وآخر يذرف على
ضياعه الدمع الهتان؛ وثالث وقف متفرجاً لا ينزل لميدان.

أليس ذلك لعمرى في أمة نهاية الخذلان؟
ألا فلتذكروا — رحمكم الله — تلك الأخوة الإسلامية التي تربط
بينكم.

أندرون لأيِّ شيء وقفت بينكم خطيباً أيُّها المتساكنون؟
إنَّني لم أقف إحياء لذكرى المولد فذلك أمر أعدُّه من قشور
الأعمال ما لم يحسن المسلمون فهمه؛ والانتفاع منه؛ ولكن وقفت

لأذكركم بالأخوة الإسلامية التي هي أساس وحدة العرب المسلمين؛ تلك الأخوة التي ربط أواصرها في هذا الإسلام نبيكم بين القبيلتين المتعاديتين حقبة من الزمن: الأوس والخزرج؛ فكان نتيجة تآلفهما صلاح أمر المدينة وسعادتها واشتداد شوكة المسلمين؛ وعزة رسول الله؛ ثم أذكركم بالرابطة الوطنية التي تربط القبطي بالعربي، والعربي بالمسيحي في الشعب المصري النبيل، والتي كانت نتيجة انتزاع الاستقلال الذاتي والحرية المغتصبة من الأجنبي البغيض...

ثم أذكركم برابطة المصلحة المرسلة التي ربطت بين حكومات الحلفاء المشاركة عند اندلاع نار الحربين العالميتين؛ والتي كان عاقبتها القضاء المبرم على المحور العدو المشترك في وقت قصير.

هذه روابط ثلاث: رابطة الدين، ورابطة الوطن، ورابطة المصلحة المشتركة. كل واحدة منها توجب عليكم أن تتحدوا ولا تتفرقوا؛ وتتصالحوا ولا تتعادوا؛ وتتناسوا ما بينكم من ضغائن وأحقاد؛ ولا تذكروا وتتجاهلوا الفوارق التي تعوقكم عن الاتحاد والتفاهم ولا تعيروها أي التفات ما دتمت في قيد الحياة؛ حتى إذا جاء أبنائكم من بعدكم لم يرثوا بعض غرائز الضراوة والوحشية؛ التي ترثها السباع من فصائلها منحدره مع الدّم في العروق؛ بل يرثون عنكم العفو والسماح، والمراعاة والأناة، والإذعان والوفاء، وإنصاف الخلطاء؛ وبذلك تكونون قد عملتم جميعاً على دفن ماضٍ لعين، طويل الآماد في العداة والخصام،

بعيد كل البعد عن صراط الله ومبادئ الإسلام؛ وعلى إنشاء عهد مبارك سعيد من الألفة والوئام، والحب والسلام، والرتق لكل انخرام. ذلك ما جئت أدعوكم إليه أيها المسلمون المتساكنون؛ لأنني أرى من الخذلان بمكان أن تفترق أمة من القلّة والضعف بالمنزلة التي عرفتم مثل هذه الفرقة الموحجة الموحشة.

إنني لا أبالي — والله — بانقسام البلدة إلى شطرين: مصلح ومفسد؛ فتلك سنة الله في عمارة هذه الأرض، واستقامة هذا الدين، وانبلاج نور الحق المبين؛ وقدما كان الناس أمة واحدة فاختلّفوا ﴿وَلَوْلَا دَفَاعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَهْذَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا...﴾ [سورة الحج: ٤٠].

ولكن يؤلمني ويشقيني أن أسمع كلمة "عربي" و"ميزابي" في وقت قضى فيه على العصبية القبلية في البلدة كلها، ولم يبق من ذكر إلا مصلح ومفسد...

وكلمة مصلح ومفسد جديدة أن يقال؛ لأنّ السواد لا يعقل معناه لو لم يقابله البياض؛ إذ بضدّها تتميز الأشياء، وليس العرب والميزابيون في الدنيا من الأضداد.

العرب نسبة جنسية، وميزاب نسبة وطنية، فكُلنا عرب وكُلنا ميزابيون، لأجل هذا الوهم تخالفنا معشر المسلمين؟

أم لأجل ابن إياض ومالك تشاققنا؟

وأى غضاضة في أن يكون قوم من أتباع هذا وقوم من أتباع ذاك؟ وهل كان تعدد المذاهب في ولاية من ولايات المسلمين عائقا لهم على الاتحاد فنقتدي بهم؟ وإذا كان ذلك أفلا نتعظ بهم؟

ألا ليفهم المسلمون أن الاختلاف بين المذاهب أساسه الاختلاف في الاستنباط بين العلماء؛ فهو كالاختلاف في الرأي، واختلاف الرأي لا يفسد للود قضية؛ وقد قال العلماء أنفسهم: إن هذا الاختلاف بينهم رحمة؛ فلا يجعله المسلمون بينهم فتنة ونقمة.

ألا ليذكر المسلمون أنهم يغفلون في الدين غلواً يورثهم الكفر؛ إذ يتدربون في هذه الفرقة بهذه المذاهب، وإنهم في ذلك كمن يجعل الله عرضة ليمينه أن يبرأ ويتقي ويصلح بين الناس.

ألا ليعلم المسلمون أن لو رضي الله بالاختلاف والافتراق في الدين لترك الشرائع المتقدمة صحيحة مقبولة لديه مع شريعة محمد، ولم يتعرض لها بالنسخ والإبطال.

ألا ليذكر المسلمون أن أسلافهم أمة قد خلت لها ما كسبت ولهم ما كسبوا، ولا يسألون عما يعملون، وأن واجبهم أن يتعظوا بما لهم يوم تفرقوا وتراشقوا بسهام النقد والتحريم، ثم تراموا بالنبال وتقارعوا بالسيوف.

ألا ليستشعر المسلمون خطر التبعة التي تلحقهم واللغة القاسية التي تتبعهم؛ بسبب هذه النار التي يذكونها ويتهاونون في إخمادها من

فتن العصبية.

نعم نعم! أيها المسلمون... إننا جميعا عن الصراط لناكبون، قد نؤذر في الافتراق أمة تعتقد أن الله ثالث ثلاثة؛ ولكن لا نؤذر بحال أمة تعتقد وتقول: ما من إله إلا إله واحد؛ اللهم إلا أن تكون أمة تقسّس المعجزات؛ ولا تعمل بما جاء به صاحب المعجزات.

وإنه لمن الغريب المؤسف حقاً أن نرى الاتحاد يسود أما لا تؤمن بالله؛ ويسود الخلاف أما شعارها الإيمان بالله والتصديق بما جاء به رسول الله.

هذه أس الدعامة المتداعية في بنائكم أيها المسلمون؛ وتلك هي الثلثة المنهارة في بلدتكم أيها السكّان المتجاورون؛ فاحتفلوا بالنيء وخلفائه أو لا تحتفلوا؛ وصلّوا عليه وسلّموا أو لا تصلّوا؛ فسيان عنده ذلك، ما لم تحتفلوا بالأعمال وتصلّوا وتسلموا بالأعمال.

فهل أن لكل طبقة من طبقات الشعب أن تشعر أنّها أخت للأخرى في الله؟ فتعمل بمهتصى هذا الشعور على تناسي كل ما من شأنه الوقوف في سبيل مصلحة الوطن العليا، وتسعى بوحى منه في جلب كل ما فيه سعادة البلاد والسمو به إلى فلك الثريا؟

فهذه أفكار من الأعماق أبدية، ليس لي فيها مقصد إلا النصيحة، إلى أمّتي الحائرة أزجيها، وعساني أراها قريبا توحد جهودها ومساعدتها ومراميها. وهنا أود أن أقول: إن أول خطوة تأوي أبناء

الوطن الواحد مدرسة واحدة؛ فلا أمل ولا رجاء في سعادة مستقبل البلاد وصلاحيه، إلا على أساس روابط الصداقة المتينة التي تحكم عراجل المدرسة بين الأطفال منذ نعومة الأظفار؛ فينشئون متعارفين متآلفين، وما إن تدول دولتهم حتى يجدوا أنفسهم يعملون مخلصين متساندين متآزرين؛ ولقد سبقت إلى إيوائهم المكاتب الفرنسية، فخففت كثيرا من الغلواء، وأزالت كثيرا من الشحناء؛ ولو أتيح للأمة مدارس، أو لو أتيح لمدارس الأمة إيواء جميع أبنائها لبعثت بنفوس النشء الأعاجيب.

وإنه لمن العار الفاضح أن يتلاقى أبنائنا في المكتب الفرنسي على لغة إفريقية أجنبية، ولا يتلاقون في مدرسة أهلية على لغة عربية إسلامية؛ ونتيجة هذه المدرسة التي أنتم بها خير مثال لمن يريد أن يعرف أثر المدارس في أبنائها؛ ولست بهذا أدعي دعاية لمدرسة الإصلاح ليومها الطلاب فهي غاصة الرحاب؛ ولكنني أدعو إلى تعديد المدارس من طرازها، وجعلها جميعا تحت إدارة واحدة وبرنامج متحد، تفتح أبوابها لكل ابن تنجبه العاصمة !!!

فتكون لهذه المدرسة الرابضة كالقلعة على حافة الوادي أخوات في كل زاوية من البلدة؛ تحقق عليها ألوية عربية، وتدوي في قاعاتها أصوات جنود الوطنية.

فلا تمض بضعة سنوات حتى ترى العاصمة آمنة مطمئنة؛ يسودها الإخاء والهناء؛ ويغمرها الإخلاص والوفاء، ويعمرها الأنس والرخاء.

أيها السادة:

هي أحلام لذيذة، وأمان عذاب، دونهما سراب وسراب، وعقبات صعب، ولكنها ستدلل إن شاء الله.

فما هو إلا أن نعرف كيف نستفيد من أعيادنا، ونستخلص العزة من سير أبنائنا وكيف نطبق مبادئ ديننا.

فارفعوا إخواني أكف الضراعة معي إلى الله أن يجعلنا من الذين حملوا القرآن فحملوه؛ وأحبوا الله فاتبعوا رسوله وتأثروه.

فحضرنا نتبع السنن ونحمي الدين والوطننا

فمن لم يرض بما شرعا فلا صلى ولا صاما

والسلام عليكم ورحمة الله



استقبال الزعيم المحرر^١

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله الذي فتح الأبواب ويسر الأسباب، والصلاة والسلام على من نضر بالرعب وأيد بالكتاب، وأوتي الحكمة وفصل الخطاب، وعلى آله وأتباعه والأصحاب...!

أي أستاذنا الجليل، وزعيمنا المحبوب...!

أهلاً وسهلاً ومرحباً!

يمتدُّ الصوت يعلو فوق أجواز الفضاء

إذ بلغنا كلَّ سؤال ومرام وهناء

نعم بلغنا كلَّ سؤال وبلغنا كلَّ مرام، وبلغنا كلَّ هناء، وما أشبه

هذا اليوم السعيد الذي أشرقت فيه شمسكم الوضأة في سماء عاصمة

الوادي السعيد، باليوم الذي أشرقت فيه شمس دوقول على سماء باريس

عاصمة فرنسا...!

أي أستاذنا الجليل، وزعيمنا المحبوب...!

إذا افتخر دوقول بجهاده في سبيل حرية بلاده أربع سنوات، فقد

جاهدتم أربعين سنة.

١- خطاب ألقاه الشيخ عند استقبال الشيخ بيوض.

وإذا قال إنه طاف بعض القارات الإفريقية على متن طائرة في سبيل ذلك، فقد طفتم القطر الجزائري من أقصاه إلى أقصاه على سيارة من المطاط؛ وإذا اعتزَّ بأنه محرر فرنسا من رق العبودية، وذل الاستعمار، فأنتم محرروا ميزاب من قيود الجهل وأغلال الجمود....

وإذا أعلن مباهياً أنه جامع شتات أمة كاملة، فأنتم خالقوها من العدم، ومنشئوا رجال يخلقون أجيالاً...!

أليس الأمر كذلك أيها الناس؟

وإذا كان الأمر كذلك... فهل تشكُّون أيها الزعيم في

النصر...؟

لا، لا، أيها المجاهد المخلص في جهاده، ما كان الله لينصر

الشرك ويخذل الإسلام؛ بشري بشري! إن النصر يتبع بعضه بعضاً.

وإن رياح الظفر إذا هبت للجنرال دوقول ومكنته من أزمة الأمور؛

لا بد أن تهبَّ لكم وتغمركم، ورياح الخيبة والهزيمة التي عصفت

بخصومه وأعدائه لا بد أن تعصف بأعدائكم وتسحقهم سحق

الهشيم... وإن التمهييدات والتضحيات التي قام بها جنود دوقول سهَّل

الأسباب لدوقول، قد بذل أضعافها جنودكم في جميع الأقطار الميزابية،

فمروهم بما تشاءون أيها الزعيم، فإنهم لكم أطوع من بنانكم،

وادخلوا البلدة بسلام آمنين... بين يدي فيلق من خيرة جنودكم هم

مقدمة جيش جرار من أعزَّ أبنائكم؛ أدخلوها مكللين بالنصر، متوجين

بالظفر، يحدوكم الأمن، ويتبعكم السعود، ادخلوها من هذا المعسكر الداوي بضوضاء جنودكم التي أفنيتكم العمر وعصارة الفكر في سبيل تربيتهم وتثقيفهم.

ادخلوها من هذا الثغر الشريف فهو طريقكم إلى غايتكم المنشودة، وأمنيتكم الغالية إلى مسجد العاصمة المحروس بحول الله؛ ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [سورة الفتح: ٢٧].

وعليكم السلام ورحمة الله

لماذا حجَّ القائد النائب؟

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وأزكى صلاة على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى.

وبعد:

أحقاً ما ترى أبصارنا ... أهؤلاء حُجَّاجنا الذين برحوا الجزائر منذ شهر واحد، قد عادوا بعد إلى الوكر سالمين غانمين، تلوح على وجوههم دلائل الرحمة والارتياح، وتشعُّ على محياهم ابتسامات الرضى والقبول؟

أهذا بيّوض ... من حكم عليه الخصوم بالنفي والإبعاد، وصرّحوا بأن نصيبه الحجز والاضطهاد؟ وقيل إنَّ العفاريث تسحقه وتستعدُّ واقفة بالمرصاد؟ ...

أحقاً هو هذا؟ يتربّع على كرسيّ الإصلاح كسالف عهده، ثابت القلب، قرير العين، عزيز الجنب؟ ...

نعم ! هو الحقُّ ما تراه أبصاركم أيُّها الناس ... إنهم حُجَّاجكم الميامين، ويؤوضكم المخلص الأمين؛ قد عادوا لكم آمينين مطمئنين؛ رغم أنف الحاسدين والمرجفين، والحمد لله ربِّ العالمين....

وليس بالعجيب أيُّها الناس أن يكذب الله زعم المفسدين

وإشاعات المبطلين، ويجعل دعاءهم دعاء الكافرين، فذلك أهون ما يلقاه الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا من وخيم الجزاء... ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٣٣].

وقد قيض الله في الأمة الإسلامية من تفدَّ بعض تلك الأحكام فكان القتل نصيب الملك عبد الله منذ عام، والنفي حظُّ فاروق هذه الأيام...

ماذا أريد أن أقول؟ أقول إنه لا غرابة أن يبوء قادة العباد بالخزي والمقت في كل ما يذيعون ويشيعون.

وإنما العجيب حقاً والذي يستوجب الحمد والشكر بلا انقطاع... هو سلامة هذا الفوج الطائر في غدوة ورواحه، وضعفه وإقامته، وقد ركب متون الأخطار جميعها...

فالسفر والضيف، وركوب الجوِّ وحرَّ الحجاز، واصطحاب المرأة... كلُّها مشقَّات وأخطار... ولكن عناية الله تنجلي في الوقت العصيب لعباد الله، فتطغى على جميع الأخطار تمحوها... ويحلُّ محلُّها الأمن والرخاء والاطمئنان والهناء...

وإذا العناية لاحظتك عيونها
نم فالمخاوف كلَّهنَّ أمان

واصطد بها العنقاء فهي حباثل واقتد بها الجوزاء فهي عنان أيُّها الحجَّاج الكرام: طبتم وطاب مسعاكم وتبوَّأتم من الجنة منزلاً؛ لقد علم الله منكم صدق النية، فحفظكم وآواكم وأيدكم بنصره، ورزقكم من الطيبات لعلَّكم تشكرون... فهنيئاً لكم هنيئاً بلوغ المرام.....

إن كثيراً من الناس تآقت نفوسهم لرفع الدعامة الخامسة من شعائر الإسلام في حياتهم... فأخلصوا التوحيد لله، وأقاموا الصلاة وأدوا الزكاة وصاموا رمضان؛ لكنَّهم لم يستطيعوا إلى الحجِّ سبيلاً فماتوا مغبونين..... وكثير منهم استطاعوا إليه سبيلاً فسوفوا فأدرَّكهم الموت فذهبوا بالأوزار مثقلين.

وكثير آخرين ساعدتهم الظروف لحجِّ ثانٍ أو ثالث، فلم يغتنموا الفرصة، فأبوا إلى ربِّهم بالخيبة والحرمان متلفعين.

فاحمدوا الله — سادتي الحجَّاج — على أنكم لستم من هؤلاء جميعاً، إذ نجوتم من كلِّ غبن وإثم وحرمان... وبؤتم بالأجور العظيمة والمنافع الغزار...

وإنَّ لكم بعد ذلك — إن اتَّقيتُم المحبطات واجتنبتم الكبائر... —

إن شاء الله — عقبى الدار... هنيئاً لكم الوقوف بعرفة؛ وزيارة قبر الرسول ﷺ والصلاة بمقام إبراهيم عليه السلام.

موضع البيت مهبط الوحي مأوى الرسل، حيث الأنوار حيث البهاء، حيث تختلج العواطف الدقيقة، وتتحرَّك الذكريات البعيدة... حيث تنجلي القلوب بذكر الله، وتخضع الأبصار للرحمن... حيث تطوى مراحل التاريخ، وتزول حواجز الزمن... فإذا بالروح تعيش برهة مع أرواح الصحابة الأطهار، والشهداء الأبرار... حيث تتمثل للصالحين المتقين ذنوبهم في أجلى مظاهرها كما تتمثل للمبعوث يوم الحشر؛ فيسارعون بالتوبة والإنابة إلى ربهم... ويعقدون النيَّة على الإفلاع عنها فيما بقي من أعمارهم... حيث ترفع أكفُّ الضراعة والابتهاال إلى الله من صميم الأعماق، ويدعى لكل أخ مسلم بالنصر في جميع الآفاق؛ ولكل شعب شتيت بالوحدة، وكل موثوق بحلِّ الوثاق...

ألا هل وجدتم — أيها الحجاج — هذه الأحاسيس في نفوسكم، وأنتم تنتقلون في الحرمين بين تلك المشاهد الصامته الناطقة؟ وهل وعت قلوبكم بعض المعاني السامية التي تضمَّنُها الحجُّ؟ وهل خصَّصتم الإصلاح بدعوة صادقة تعود على رجاله ومؤسَّساته بالنفع؟...

لله ما أسعد حظكم يا حجَّاج هذا العام ! إذ حظيتم برفقة عالم الأُمَّة إلى أظهر بقاع الله، حيث يريكم عن كُتب ما كان يُسمعكم إيَّاه سنين عديدة في دروسه عن أعلام الإسلام، ومسارح النبوة ومنازل الوحي، وميادين الغزو، وأسواق الشعر ومرابع اللُّهو، ومراتع

الغزلان... بياضها يلبس بياضاً رقيقاً، وباطنها يلمع بلمعة باهرة، ولقد كان ركبكم إلى الحجِّ وفيه عالم الأُمَّة أشبه بركب الصحابة وفيهم رسول الله؛ ولَحَّى الله قوماً عندنا جهلوا ذلك أو تجاهلوه، فنقضوا عزمهم على الحجِّ بعد ما أبرموه، وباعوا بالخيبة والحرمان لأنهم أهل الخيبة والحرمان...

وما باختيارهم نقضوا عزمهم، ولكنَّ الله عرف أنَّهم للفتنة والشقاق خلُقوا، فهم إن لم يفرِّقوا الركب أوحشوه وأقلقوا...

وإنَّ برودهم بالشرِّ حبكت لحمة وسدى، إن لم يكونوا في الحلق شجى، كانوا في العين قذى...

وإنَّ طُلُعائهم بالنحس قرنت منذ برزت من أرحامها، فإن لم يوقع شؤمهم الطائرة من عليائها؛ عاقها عن الخروج أول مرَّة إلى سماءها، فظهر الله منهم ركب العزِّ والقداسة، والعلم والنور، حتَّى لا يُعكَّر صفوه ولا يُثْبان جماله، ولا يعاب بشيَّة نقص كماله... ولا شمت به حسَّاده.

وتلك أيضاً مئة من مَن الله عليكم أيُّها الحجَّاج، تستوجب منكم الحمد والشكر لله...

أيُّها الحجَّاج الكرام: لقد قيل في رئيس ركبكم الشيخ بيَّوض أنَّه ذهب إلى الحجِّ جاسوساً لفائدة فرنسا؛ فهل وجدتموه عينا عليكم أو على إخوانكم المسلمين في ساعة الذهاب أو الإياب؟

دعوني أقول عنكم الجواب؛ لعلِّي أصيب كبد الصواب...
أنتم أيُّها المصلحون لا تصدِّقون بحال أنَّ الشيخ بيُّوض سيكون جاسوساً أو (بايوغاً)^(١) حكومياً... ما في ذلك ريب... ولولا ما رسخ في قلوبكم من أنَّه أعدى عدوٍّ للجواسيس والخونة ما انتخبتموه نائبا عليكم...

ولكنَّكم تستغربون أن تحدِّثه نفسه بالحجَّ في عهد النيابة وفي أقسى ظروف الكفاح...
وها أنذا ألخصَّ لكم — أيُّها المصلحون — الأسباب التي دعت نائبكم إلى أن يحجَّ في عهد نيابته، وفي أخرج أوقات جهاده ونضاله:

أولاً - إنَّ بيُّوض رجل دين قبل أن يكون رجل سياسة، فهو يؤمن حقيقة الإيمان أنَّ النجاح في الحياة قوامه أمران: التماس التوفيق والمعونة من الله في تدبير الخطط، وسلوك الأسباب ثمَّ الإنابة والابتهاال إليه بالدعاء لتحقيق النصر وتقريب الفتح...

وها قد ألهم السداد في تدبير الخطط في جميع قضاياها، وأعين على سلوك الأسباب في كلِّ مساعيه... أولاً يحقُّ له أن يصنع ما صنع قدوته رسول الله ﷺ يوم بدر عندما نفّض يده من واجبات

(١) - بايوغاً مصطلح ثوري جزائري يطلق في عرف الجزائريين على من كان عوناً للاستعمار وخائناً لوطنه.

الاستعداد....

إنَّما حجَّ نائبكم ليسأل ربَّه النصر الذي وعده، كما سأل محمَّد ﷺ، أو يشكو ضعفه وهوانه على الناس كما صنع نوح... يوم قال: ربَّ **«أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرُ»** [سورة القمر: ١٠]، وخير مكان لرفع هذا الدعاء المستجاب بيت الله المستطاب...

فرماهم بدعوة من فيناء البيت فيها للظالمين فناء^(١)
ثانياً - إنَّه أراد أن يحيي سنَّة من سنن الرسول ﷺ بمصاحبته زوجته إلى الحجَّ ليقنَّدي به الناس، وينبذوا أقوال الذين ما برحوا يشدِّدون على النساء في ذلك، ويزعمون لهنَّ أنَّهنَّ معفيات من الحجَّ وإن استطعن إليه سييلاً؛ بدعوى أنَّ المرأة عورة... وما هي بعورة... إن يريدون إلاَّ الاستحواذ على حجَّاتهم والانتفاع بأموالهم...

ثالثاً - إنَّه أراد أن يشجِّع قومه الميزابيين على القيام بهذه الشعيرة العظيمة من شعائر الدين المشحونة بحمِّ المنافع، فعزم أن يكون هذه المرَّة في زمرة الحاجِّين، وأعلن أنَّه فيها خادهمهم الأمين... فنَّيف بفضلته وفد القرارة الأربعين، لكنَّ حظَّ العاصمة^(٢) وضواحيها من هذا الحجَّ الممتاز لم يزد - ويا للعار - على واحد أو اثنين... وشتَّان بين قوم يحجُّون بالأربعين، وقوم يحجُّون بالواحد والاثنين!!!... إنَّنا وحقَّكم

(١) - البيت للبصري في الهزمية.
(٢) - يقصد عاصمة وادي ميزاب مدينة غرداية.

— يا معشر أبناء العاصمة — المصلحين من فوائد الحجِّ لمحرومون....
فخذوا العبرة من إخوانكم القراريين، ولا تكونوا من الغافلين ...

رابعاً- إنَّ كرامة الأمة الميزابية على نائبيكم ومكانتها من قلبه هي التي أرغمته على الحجِّ هذا العام؛ بقطع النظر عن جميع الأسباب المتقدمة؛ ذلك أن شركة الطيران أكبرت الأمة الميزابية وأجلتها فتقدّمت إليها في شخص نائبيها المحترم بمقعد للحجِّ مجّاناً، هدية وإكراماً، فكان لزاماً عليه أن يتولّى عنها قبول هذا الإكرام حتّى لا يقال إنَّ الأمة الميزابية أمة لئيمة، تأبى الكرامة وتردُّ الجميل....

خامساً- وهو من أهمِّ الأسباب وأكدها؛ أنّه حجٌّ ليدرس ويطلّع على بعض الأوضاع السياسيّة والمنشآت الاقتصاديّة في أرض الحجاز، لفائدة ميزاب... وما أشبه وضع ميزاب، وطبيعة ميزاب، وكنوز ميزاب، بوضع الحجاز وطبيعته وكنوزه... وأبرز ناحية تستوجب الدرس في بلاد العرب — أيها السادة — وتقضي على نائب مسؤول مثل نائبنا الحجِّ إليها كلّ عام، ناحية المعادن الدفينة تحت رمالها... وخاصّة البترول... ذلك الذهب السائل الذي ظهرت وتعدّدت بالجزيرة العربيّة حقوله... وأصبحت من جرّاءه مطمع المستعمرين... ومزرعة الانتفاعيين من المستغلين، ومخيم الرأسماليين من الإنجليز والأمريكيين!!!

والذي أصبح ميزابنا المعروف بالفقر المذقع ردحا من الزمان...

من أغنى بلاد العالم باكتشافه فيه!!! ومطمح أنظار الشركات الكبرى في كافّة أنحاء المعمورة لاستغلال ما يحويه.

هذه هي الأسباب الرئيسيّة التي حدّت بنائبيكم إلى الحجِّ في عهد نيابته أيها المصلحون؛ لا ما يدّعي المبطلون... ولعمري إنَّ كلّ واحدة من هذه الأسباب ليفرض عليه الحج بمفرده، ولكن أكثر الناس لا يعقلون...

أيها النائب المحترم: لقد أصبح حقاً من حقوق الأمة الميزابية عليكم بعد فكّ الرقاب من الحكم العسكريّ وتحرير ماء الشرب من سيطرة القوي^(١)؛ أن تتخذوا الاحتياطات اللازمة والتحريّات الناجعة لمنع الأجنبيّ من التسرّب إلى أراضيها، ليستغلّ خيراتها ويحتكر مواردها...

فالماء والبترول وجميع ما تحت الأرض من خيرات ملك لنا، نحن أولى باستثمارها واستغلالها وإدارتها وامتلاكها، والنار للمعتدين كما حكم شعراؤنا، إذا قضى أجدادنا أحقاباً بهذا الوطن في فقر فلائثمهم كانوا يظنون أن بطن الأرض لا يختلف عن ظهرها... أمّا نحن وقد تكشّفت لنا عن مكنونها وكنوزها فحرام علينا أن نعيش عيشتهم، وحرام أن ندع الغير يثرى على حسابنا، ونبقى غرباء في ديارنا أذلاء

(١) — إشارة إلى احتكار شركة La Regie الفرنسية استغلال المياه الباطنية وحرمان الأهلي منها.

في أوطاننا، فقراء حول كنوزنا وخيراتنا.
ألا كن لنا مصدق إيران نكن لك أمتة، ولا تكن فينا ملك
الحجاز فنستخذي ونستكين... لقد طالما سخطنا على الأجداد؛ لأنهم
زجوا بنا في أحضان هذه القطعة النائية الجرداء إلا من أفدة تهوي إلينا،
وثمرات نرزقها في فترات متباعدات... والآن وقد انقلبت الآية سوف
نصبح نحن مهبط سخط الأجداد، وأهلا لقاسي اللعنات، إن تمأوتنا
وقصّرنا في استغلال تلك الخيرات والبركات.

فخذ بأيدينا — رعاك الله — إلى الجادة، وأرنا سبل العز والغنى
والحياة.... وأنقذنا من هول لعنات أجداد مضوا وأجيال قادمين...
أيها الراكب الحجي الميمون: حجّ مبرور، وسعي مشكور، وذنب
مغفور، إن شاء الله.

مقدم سعيد، ونزول مبارك، وحسن مآب بحول الله؛ ذكر علطر
ووجه ناضر، وعمر زاهر بالمآثر والمفاخر بعناية الله...

أيها الجمع المبارك... أصدقكم ولا أكذبكم... إنني لم أسأل
النائب عن حجّه، ولم يبح لي بشيء؛ وإنما هي تكهّنات شاعر وأفكار
ناشر... أوحاها لقلمي موكب الحجّ الرائع ومحيطه، ورحلة النائب
المفاجئة، وظروفها الراهنة، فإن شتّم فخذوها قضايا مسلمة؛ فليس فيها مل
يحتمل النقض لأنها لسان الحال، وإن شتّم فاقطفوها أزهارا زكية تُشم ولا
تُحك، تعشون بها موات القلوب وتوقظون بها فواتر العزائم.

وختاما أسأل الله الذي قال لشمس الحجاز المحرقة: «كُونِي بَرْدًا
وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ» [سورة الأنبياء: ٦٩] أن يقول لكل من أراد
الإصلاح بسوء في الحاضرين والغائبين: كونوا قردة خاسئين...

ولكل من كان في نصرته من العاملين والمؤيدين: سلام عليكم
طبتم فادخلوا الجنة خالدين.

والحمد لله رب العالمين



... إنني لم أسأل
النائب عن حجّه، ولم يبح لي بشيء؛ وإنما هي تكهّنات شاعر وأفكار
ناشر... أوحاها لقلمي موكب الحجّ الرائع ومحيطه، ورحلة النائب
المفاجئة، وظروفها الراهنة، فإن شتّم فخذوها قضايا مسلمة؛ فليس فيها مل
يحتمل النقض لأنها لسان الحال، وإن شتّم فاقطفوها أزهارا زكية تُشم ولا
تُحك، تعشون بها موات القلوب وتوقظون بها فواتر العزائم.

وإذا كان هذا، فماذا بقيتم تنتظرون من خطباءكم، أيها الناس؟
ألا إن الوقت وقت الكفاح والجهاد، والدور دور العمل والنضال...
فحسبكم جلوساً، وحسبكم استماعاً... هُـبُوا - رعاكم الله -
جماعات وفرادى لإصلاح الحالة بواديكم... هُـبُوا جميعاً شباباً
وكهولاً، رجالاً ونساءً لنصرة العلم والدين في شخص هذا الطود
الشامخ، والبحر الزاخر، فقد أصبح الاحتفاء بمثل هذا العالم العظيم،
والزعيم الفذِّ في مدرسة ضيقة النطاق لا تسع إلا بضعة مئات من العلر
الذي لا يُنسى، والسبّة القبيحة التي لا تُمحي ولا تزول...
إن كان قد سرَّكم منظر هذا اليوم فلا تُنكم لم تحظوا بمثلته
ولم تشاهدوا له ضريباً ولا شبيهاً؛ وإلاً فالواجب يقضي أن يكون هذا
الاجتماع في مساجد القرى لا في مدارسها فحسب؛ وأن يكون عدد
الحاضرين فيه أضعاف هذا العدد الذي نستكثره اليوم لجهلنا
وغباوتنا...

خبروني برّكم... أيُّ ضررٍ وأيُّ سوءٍ كان حاصلًا لدينا لو كان هذا المنبر الذي نصبناه على سطح هذه المدرسة منصوبًا على سطوح المساجد؟... وأيُّ سماءٍ تسقط وأيُّ أرضٍ تخسف وأيُّ شمسٍ تكسف لو كان هذا الصوت البيّوضيُّ داويًا في أرجاء المسجد صارخًا فيها؛ يحلّل آيات الكتاب المبين ويشرح أقوال المصطفى الأمين، ويحارب البدع، ويأمر

بالمعروف، وينهى عن الفحشاء والمنكر؟... إلى أين
لكنه التعصّب الممقوت والجمود القتّال والحسد؛ آه ! ثمّ آه ! من
هذه الحالة المؤلمة...



مرحبا بالباشاغا في القرارة^١

الحمد لله الذي جعل الألفة أساس الخير والصلاح، والوفاق مبعث الأنس والانشراح؛ واللقاء مصدر التفاهم والسعادة والفلاح... والصلاة والسلام على من شيد دعائم الإسلام على أساس الألفة والمحبة والوئام، ورفع منار الحق عاليا فوق صرح التعاون والتعااض والالتئام...

وعلى آله المتحابين، وصحابته المتصافين... الذين كانوا مثالا صادقا للأخوة الطاهرة، والمحبة الخالصة، فلم ينتقلوا إلى رحمة ربهم إلا بعد أن بنوا لأمتهم — بفضل اتحادهم واتلافهم — صرحا من العز والجد مشيدا، وتركوا لهم أمم الأرض عبيدا، وخلفوا لأنفسهم ذكرا عاطرا بعيدا...

وبعد — سيدي: حضرة الباشاغا — أقف أمامكم وبما أن الوقوف أمام الحكام يستوجب الهيبة والوقار، ويقتضي الإيجاز والاختصار؛ فإنني لا أطيل الحديث في نشر صفحة من صفحات تاريخكم المجيد، ولا أتعرض لذكر موقف من مواقفكم الوطنية الشريفة؛ ولا أكلف نفسي تعريفا لمنزلتكم السامية.... على أن ذلك معلوم

١ — خطاب ألقاه المؤلف حين استقبال باشاغا مدينة مليكة الباشاغا سليمان بن بكير باعمارة عند زيارته القرارة.

لدى العام والخاص، ومثلكم أشهر من نار على علم... فأقتصر على أن أعرب لجنابكم بما تكنه الضمائر والقلوب نحوكم من حب واحترام، وولاء وتقدير، وأعبر عما يختلج في النفوس من فرح وسرور، وابتهاج بزور تركم الميمونة هذه لمدينة العلم والنور؛ فلتقبلوا سيدي أطباقا وأكاليل من الزهر النضير هي أصدق لسان عما يكنه الوجدان، وأبلغ تحفة يتهداها الأجنة والخلان...

فانزل على الرحب والسعة يا سليل المكرمات، وربيب الملوك، وعاهل المجد والشرف، انزل على بساط الأنس والصفاء، بين هالة من الأجنة والأصدقاء، طالما تآقت نفوسهم وتآقت نفسك إلى اللقاء، وتفضلوا بقبول هذه الترحيبات العطرة المنبعثة من قلوب ملؤها الإخلاص والولاء، مفعمة أنسا بكم وصفاء؛ معلقة على زيارتكم أعظم الآمال، وأبلغ الرجاء... فإن لأمثال هذه الزورات أثرا في النفوس لا يمحى، وصبغة في القلوب لا تزول؛ وقدما كانت هذه الرحلات فرضا محتما بين الأجنة والأصحاب؛ وكم كان لها في تاريخ السوادي وحده من نفحات عطرة، وعواقب محمودة عادت على الأمة والوطن بالنفع العظيم، والخير العميم!!! فهل لنا اليوم وقد أحييت هذه السنة، وفكرتم في هذا الواجب إلا أن نتفاءل بمستقبل زاهر؟

نعم! إن الأيام تبشر بمستقبل زاهر مجيد؛ بما جدد الله فيها بزيارتكم الميمونة هذه من عهود الأخوة والصداقة، وأوثق من عراها،

وأزال من غبارها.....

فلتهنأ الشقيقة (مليكة) بما استقبلها من عهود زاهرة، تحت كنف عظيمها الفذ، الذي أبلغه الله مناه، وأناله مشتهاه؛ بأن جمع إليه العلم والمال، والدنيا والدين، حقق الله له الآمال، وأعاد على الأمة به عهود الوفاء والكمال...

فإنني أرى هذه الزيارة فاتحة زيارات، وهذا الاحتفال مقدمة حفلات، وهذا الخطاب تمهيدا لقصائد وروايات... وكأني أحس بأرواح الصالحين من الأئمة والأجداد ترفرف فوق رؤوسنا، مغتبطة بأعمالنا، مرددة لأقوالنا، مؤمنة على دعائنا...

نعم! إنَّها كذلك إن شاء الله، وإنَّ الملائكة لتحفنا تسبح بحمد ربها على لساننا؛ فأيقنوا جميعا أن هذا اليوم يوم فتح مبين، يغفر الله فيه ما تقدّم من ذنوبنا وما تأخر، ويتم نعمته علينا، ويهدينا صراطا مستقيما، وينصرنا نصرا عزيزا.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

سلام عليك يوم اعتقلت ويوم أفرج عنك^١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فائق الإصباح، ومعيد الشمس للإشراق بعد السروح، وصلى الله على سيدنا محمد من قذفه السفهاء بالحجر، وحجزه الرؤساء في الشعب حتى أكل أوراق الشجر...

ويا الله العجب من صنع القدر مع سيد البشر! وهو سيد البشر، الذي انشق لمولده القمر، وحكّمته القبائل جمعاء يوم وضع الحجر... وظلله الغمام — فيما يروى — وكلمه الوحش، ومشى إليه الشجر...

سبحانك رب العزة من قدير حكيم؛ تأبى إلا أن تشوب الرفعة — أحيانا — بالضعة، وتمزج الصفو بالكدر، وتصاحب النعمة بالابتلاء، وتلاحق المؤمنين بالفتنة، كما تفاجئ الرؤاسي بالهزة... لتثبت الكفاءة والبطولة لأربابها بالامتحان !!!

١ خطبة بمناسبة الإفراج عن الشيخ بعد اعتقاله في سجن الحراش أعدت لتلقى في رمضان من سنة: ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م لما زار الشيخ بيوض — رحمه الله بلدة غرداية عقب الإفراج عنه؛ فمُنعت السلطة المحلية وقوع الحفلة؛ ثم أُلقيت في عرس قصبي حمو وحجاج الحاج حمو لولديهما بدار آل يونس ليلة الخميس ١٤ أفريل ١٩٦٥م.

أيها العائد الكريم: هل كان صنيع الله معكم إلا من قبيل ما صنعه مع أولي العزم من الرسل وغير الرسل من المصطفين الأخيار؟

أجل ! إن احتجازكم لم يكن إلا تشريفا لهذه الربوع التي أنجبتكم، وامتحانا للسجايا التي خلدتكم؛ ثم إظهارا للحقائق التاريخية التي واريتموها تواضعا وحياء، والصدقات التي سكتكم عنها دهرا؛ مخافة أن يبطلها المن والأذى؛ فشاء الله أن تنشر على غير أيديكم، ليتّم لكم أجرها، ويبلغ القاصي والداني أثرها، ﴿وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [سورة محمد: ٣١].

فمرحبا وألف مرحبا بكم أيها العائد الكريم والمنقذ العظيم... أي نعم ! — المنقذ العظيم — لأن الصحراء علاوة على كامل القطر ما تزال تعترف أنكم ذلك الرجل الذي أنقذها ثلاث مرّات في ثلث قرن، ولهذا فهي تحفظ لكم الودّ المكين، والاحترام العميق. أنقذتها أولا من الجهل والأميّة، والجهل والخرافة؛ بنشر العلم والدين في وقت مبكر، كان الناس فيه أحد رجلين: جبان رعديد من سطوة الحكم العسكري وجبروته؛ وخامد هامد يغطّ في نوم عميق...

وأنقذتها ثانية من ورطة التجزئة التي دبّرها المستعمر، كآخر

مناورة لاستمرار بقائه في التراب الوطني الجزائري، بأن أعلنتها مدويّة: «إن الجزائر وحدة لا تتجزأ»؛ لا غنى للشمال عن الجنوب، ولا حياة للجنوب بغير الشمال... وذلك في أخرج الأوقات؛ يوم كانت القرى الجزائرية تقصف بالمدافع، وترمى بالمنجنيق...

وأنقذتها أخيرا — وليس آخر — يوم نصبت نفسك منارا يهتدي بهديه من ضل الطريق...

وكم ضلّ الطريق ناس لدى بزوغ أشعة الاستقلال الباهرة؛ فراحوا وقد عشت أبصارهم الأضواء مع الأرناب الساذجة، تلوذ بعجلات المطاط اللينة الدافئة، ظنّا منها أنّها الملجأ الأمين، فإذا هي المرقد الأخير لكل ما معهم من مقوّمات الإسلام، والرجولة والإنسانية.

فباسم هذه الصحراء المترامية، بما يجيش في أحشائها من معادن هي ثروة الجزائر وعدّها الماديّة، وعلى سطحها من عبقریات وكفاءات هي ثروة الجزائر وعدّها الروحيّة؛ وباسم ما يظلل كلا الطائفتين الهائلتين: من شمس مشرقة استمدّت بهاءها من جمال سجايكم، وسهيل بارق، خفقانه المتدارك صدى لنبضات قلوبنا فرحة بقلبيكم...

باسمها جميعا نرحّب بكم يا معلّم الأمة كيف تكون الصلابة في الحقّ ما استبان حقّا؛ وكيف تكون المرونة في قلب الشراع إذا اقتضت

كان حديثاً حسناً (١) كان حديثاً حسناً (١) كان حديثاً حسناً (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى الْكَرِيمِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
السَّالِكِينَ مِنْهُجَةِ الْقَوِيمِ.

يقول الشاعر الحكيم:

وَأِنَّمَا الْمَرْءُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا لِمَنْ وَعَى (٢)

وَحَقًّا مَا قِيلَ؛ لِأَنَّ الْمَوْتَ يَنْخَرُ الْعِظَامَ، وَيَخْرِسُ مِنَ الْمَيِّتِ

اللِّسَانَ، وَيَطْمَسُ مَعَالِمَ الْعَقْلِ وَالْوُجْدَانِ، وَيُخَسِّفُ نُورَ الْبَصَرِ،

وَيَذْهَبُ بِالْمَالِ وَالسُّلْطَانِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَقْوَى عَلَى مَحْوِ كِتَابِهِ الْمَرْقُومِ،

وَمُسْعَاهُ الْمَعْلُومِ؛ وَإِذَا نَسِيَتْ ذَاكِرَةُ الَّذِينَ عَاصَرُوهُ فَلَنْ تَنْسِيَ صِحَافَ

الْحِفْظَةِ الَّذِينَ صَاحَبُوهُ وَرَاقِبُوهُ؛ لِذَلِكَ سَأَلَ خَلِيلُ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ لِسَانَ

صَدَقَ، وَلَمْ يَسْأَلْهُ طَوْلَ عَمْرٍ وَلَا سَعَةَ فِي الرِّزْقِ.

(١) — خطبة أُلقيت في الذكرى الرابعة لوفاة الشيخ بيوض بالمسجد الكبير في القرارة

يوم: ٠١ جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ ٢٢ جانفي ١٩٨٥ م.

(٢) — البيت للشاعر ابن دريد أبو بكر محمد؛ انظر ابن عبد ربّه، العقد الفريد: تحقيق مفيد محمد قميعة دار الكتب العلمية بيروت دت، ١٩٤/١.

سلام عليك يوم اعتقلت ويوم أخرجك عنك

الحكمة قلب الشراع...

فانزل على ترابها كما نزل المطر يشر زهر الريح، أو كما

نزل الملائكة في ليلة القدر في مركب بفتح.

وسلام عليك يوم دخلت حطفت منيما بحكمة لقمان، ويوم

قضيت به ثمانين في صفة القرآن، ويوم أخرج عنك ناصع الصفحة،

وضاء الجبين، ويوم قال لثلاث أنون به استخلصه لنفسه؛ فلما كلمك

قال: ألك اليوم لدينا سكران مستقفا

وسلام عليكم أيها الجمع الوفي الكريم.

لنسه ثيابه



كيف لا! وحسن الأحداث وطيب الذكر كعصير الزهور
وعبورها لا تذوى بذبولها، وكضوء الشمس لا يحول ولا يزول بأفولها،
وكالبحيرة الرقاقة العذبة لا تغيض بصحو الغمام عن سمائها....

وفنى الجميع كحلحلم بديع تألق في مهجة واندثر

وتبقى الجذور التي حملت ذخيرة عمر جميل غير^(١)

كذلك كان المحتفل به سمي الخليل، ولا يزال حديثا حسنا لمن

وعى.

فلي الشرف كل الشرف أن أحضر حفل ذكره الرابعة وفاء
لأبوت، ومؤازرة للذين واصلوا مسيرته في معهده، ثم إسهاما في
استجلاء العبرة من سيرته، واستئصال الرحمة بذكره في ليلته...

أبنائي الطلبة النجباء، زملائي المعلمين الأوفياء، أبي الروحي
الوقور الشيخ عدون^(٢):

لعل أصدق وصف يمتاز به المحتفل به الشيخ بيوض — رحمه

(١) — أبو القاسم الشابي: ديوان أغاني الحياة، الدار التونسية للنشر، د ت، ص: 236.

(٢) — الشيخ اشرفي سعيد (عدون) بن بلحاج، ولد سنة 1902م بالقرارة ودرس على يد مشائخها: الشيخ الطرابلسي ثم الشيخ الحاج عمر بن يحيى، اهتم بإصلاح التعليم وكان من المساهمين الأساسيين في تأسيس معهد الحياة بالقرارة وهو العضد الأيمن للشيخ بيوض في التعليم والإصلاح، وخليفته في كل ذلك، وهو حاليا رئيس مجلس عمي سعيد ورئيس معهد الحياة بالقرارة.

الله — أنه صانع الرجال ومربي الأجيال، وحسبه أن يكون كذلك
ولا يزيد على ذلك.

أعلمت أشرف أو أجل من الذي ييني وينشئ أنفسا وعقولا

قد كنت أحفظ هذا البيت لأمير الشعراء منذ نعومة أظفاري ولا
ألقي لمعناه بالا؛ حتى واتاني الحظ بقاء صانع الأجيال، ومربي الرجال
في طور التلمذة، فما تحطيت عتبة التلمذة منذ عرفته، ولم أذكر أنني
استغيت يوما عن الاعتراف من معارفه وسجايه رغم طول عشتري له
وكثرة اتصالي به في الحضر والسفر، وفي حال الرضا والغضب، والحزن
والطرب.

فأنا دوما أتعلم، وهو أبدا يعلم؛ وهو الصانع، وأنا المصوغ.

ولا يحسن أحد أنني من التواضع وهضم النفس أزجي هذا
القول، كلاً والله! بل هو الفارق الشاسع بين القرامة والعملة،
والضحالة والعمق، وأننى يدرك الضالعين شأن الضلوع؟ فشيخنا
— رحمه الله — كان كما وصف نده:

دان إلى أيدي العفاة وشاسع عن كل ندى في الندى وضريب

كالبدر أفرط في العلو وضوءه للعصبة السارين جد قريب

وسأعرض عليكم نماذج من رسائله إلي، وأنا في الحضيض من
الخبرة والفطنة والمعرفة، وهو في أعلى الذرى من الزعامة علما وحصافة

ومكانة، ثم لا يحول سموقه وعلوه دون الحنو على مثلي وأنا نبتة صغيرة لازقة بالأرض، مشرّبة العنق لامتصاص ذرات الهواء، وهبّاءات الضياء...

أجل إن التاريخ لا ينسى أبداً فضل الصحافة الحرّة التي هيأت الأفكار — أيام الجزائر مقيّدة بأغلال الاستعمار الغاشم والحكم العسكري الجاثم — للشعور بأهميّة العلم، حتّى استأنست بناره، واتجهت بوعيتها لاقتباس نوره....

لكنّ ذلك المجهود العظيم كان سيذهب هدراً ويتلاشى مع الأيام لو لم تفتح المعاهد الحرّة أبوابها، وفي مقدّمتها معهد الحياة أو غار أبي عبيدة القرن العشرين^(١)، الذي انتصب كالطود الشامخ في خضمّ من الزوابع والأعاصير والأنواء، لإيواء أسراب الوافدين من كل صوب من براعم الأبناء، فإذا المعهد معملاً لصوغ الرجال على أحسن مثال، وبوتقة لصهر الأبطال، تحت إشراف المنعم المبرور الشيخ بيّوض — رحمه الله —....

فلولا الصحافة الحرّة والمعاهد الحرّة وأحرار العلماء المخلصين الأمناء والصلحاء الأتقياء، لما تنشق أبناء اليوم نسائم الحرّية في جزائرنا

(١) — أبو عبيدة مسلم أبي كريمة من علماء الإباضية في نهاية القرن الأوّل بداية الثاني، تتلمذ على الإمام جابر ابن زيد وإلى انتهت إمامة المذهب الإباضي وتولّى تعليمه ونشره؛ انطلاقاً من مدرسة الغار حيث كان يدرس تلاميذه بعيداً عن أعين الأمويين.

الحرّة المستقلّة. فلنقف إجلالاً لهذه الثلّة النادرة والنماذج الإنسانيّة الفدّة، مديّنين لهم بالولاء، معترفين بالفضل أينما كانوا من قطرنا، ولنبتهل مترحمين عليهم في الظهور والخفاء، كأرواح الشهداء؛ وإنّه لمن الغبن الفادح والغمط المزري الفاضح للتاريخ، أن يُشاد بذكر الكثير من المغمورين والتكرات المغموزين في ذكرى الثلاثين،^(١) ويهال التراب على بناء القيم الروحيّة والأسس الحضاريّة، من علماء الجزائر الذين تُرفع لأضراسهم في الأمم الحيّة التماثيل، وترتل سيرهم كالأناجيل...

تحت ضغط هذا الواقع المؤلم، وتخطيماً للسدّ المضروب والخطر المفروض على التراث الموعود، أستبيح لنفسي أن أنشر ما عندي من صحائف لا مباحاة بصليّ بالرائد المفقود، ولكن للبرهنة والتدليل على أنّه حقاً وصدقاً مربّي الجيل، وصانع الغرّ البهاليل... وإبراء ساحتي من البخل وذمّي من الاحتكار... فمن تَبِعني فإنّه مِنّي ومن عصاني فإنّك يا ربّ غفور رحيم...

أيّها الأبناء الأعزّاء — طلبة اليوم — وقادة المستقبل القريب: ابقوا سعدت بالبقاء هنا بالقرارة متعلّماً ثماني حجج، أصنع على عيني الأب الحاني الشيخ بيّوض — رحمه الله —، ولو شئتُ أن أشقّ عليه

(١) — الذكرى الثلاثين لثورة أوّل نوفمبر 1954م.

لأنتمت عشرا؛ ولكنَّ انتقال أترابي أَوْحَشي فلحقت بهم سريعا إلى وطني... إلّا أنَّ انتقالي كان أيضا فرصة ثانية للتدرب على العمل في حقل الصالح العام، والتمرس بأساليب القيادة تحت إشراف أساتذتي ولو من بُعد، وذلك ما يتجلّى لكم من خلال رسائله إليَّ أثناء غيابي في العطل وبعد دخولي معركة الحياة العملية؛ فأنا مدين له بالزيّنة والفضل ما حييت، ولا يستحي من إعلان ذلك إلّا ناكر للجميل، وأشهد الله وأشهدكم شهادة صادقة أدلي بها بين يدي ربّنا يوم الحساب: أنّه بلغ الرسالة، وأدّى الأمانة، وأخلص العمل حتّى أتاه اليقين.

وأيّما طالب أطلال المكث عنده وانصاع لتوجيهاته كان على الأقلّ خيرا وسعودا وبركة، فطوبى لمن نال رضاه وحاز بركته حسيّا وميتّا، وبؤسا وسحقا لمن آسفه وآلمه حيا وميتّا، قال ربُّنا على لسان نبيّنا: «من عادى لي وليّا فقد آذنته بالحرب...» (١)

● إليكم أوّل رسالة منه إليّ بخطه صيف 1941م، وقد تمّ لي في القرارة ثلاثة أعوام: سنة في حفظ القرآن واستظهاره، وستان بالمعهد قبل تطويره؛ لذلك كان موضوعها التهذيب والتشذيب والإشارة إلى مواطن الضعف في أسلوب حكيم:

(1) — جزء من حديث قدسي رواه البخاري في كتاب الرقاق رقم 6137. (١)

«بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

ولدي العزيز فخّار حمو بن عمر:

سلام عليك ورحمة الله وبركاته

وبعد،

فقد وصلني كتابك فأعجبني إنشاؤه وراقني أسلوبه، على هنات فيه نحوية ولغوية ستزول وتختفي قريبا بطول المران على الترسل والتعهد للقواعد؛ فاذا ما تعلّمت عندما ترفع القلم لتكتب، ولا تنهون بالكتابة، فإنَّ شأنها خطير، وتعهّد أسلوبك بالتصليح وإنشاءك بالتنقيح، واطلب الكمال تُوفّق إلى غايته.

أحسنّت بما كتبت للأخ... الذي سُيَسأل عن وأده لنبوغ ابنه الذي لم يندمل بعد جرحه الدامي في القلب، ولعلَّ الله ينقذه على أيديكم؛ وقد كتب أحمد إليّ متشوّفا إلى مجلسه تحت ساريتيه باكيا حاله شاكيا ماله.

إنَّ العجوز التي تجاوزت الثمانين، فما عليها من بأس إن أظهرت صورتها لتستدرّ بها رزقا ساقه الله إليها؛ وما كان ينبغي أن يُشسك في حلّ ما تأخذه من الدولة على ابنها الذي توفي تحت العلم؛ بل ما كان ينبغي لها أن تتركه، وإنَّ بها إليه حاجة لندياها وأخراها.

وأما قضيتك فكن حاذقا في معالجتها حتى تسلّ السخط من القلوب، وتملأها غبطة ورضى، وإني أشتّم من كتابك رائحة حسن سياستك، فادأب ولا تسأم، وترفق فالخير في الرفق؛ وسأكتب إلى أخويك إن شاء الله.

سلامي لأبنائي: نوح، أداود، علوط، الحاج سليمان، عدّون، رمضان، (١) وسائر الإخوان.

دمت محفوظا لأبيك بيوض براهيم بن عمر» (٢).

● أما الرسالة الثانية فيلى أخويّ حثا لهما على إطالة مدّتي في التعليم، وقد أسهب القول بشكل يجعلني أخجل من نفسي، ويتركني أشك أنه يتحدث عني؛ ولكنه الظن الحسن والقلب الرحيم والأمل الواسع يدفعانه ويقودانه إلى ذلك الإلحاح الغريب، من أجل استصلاح واستكمال غريب، لا يمت إليه بصلة من قريب ولا بعيد؛ فاللهم اجعله في جوارك كما أجار أبناء المسلمين، وحقق ظنّه وفراسته فيهم؛ ليقوموا بعده برفع لواء الإصلاح في العالمين؛ قال — لا خاب بنوه —:

(١) — هؤلاء رفقاء المؤلف في العلم والإصلاح الاجتماعي أبناء الشيخ بيوض وتلامذته؛

وهم مصباح نوح بن الحاج أحمد، وأداود إبراهيم بن عمر، وعلوط حمّو، الحاج سليمان بومريقة بن يحيى، وعدّون سليمان بن ناصر، ورمضان إبراهيم بن صالح.

(٢) — الرسالة كتبت في: القرارة 09 شوال 1360هـ/30 أكتوبر 1941م.

«جناب الأخ الكريم السيّد فخّار محمّد بن عمر:

سلام عليكم وعلى الأخ فخّار إسماعيل.

وبعد:

فإني قد قبلت مع البريد من عندكم حقا فيه حلوى من حلويات رمضان فشكرت فضلكم، وتقبّلت هديّتكم بكلّ امتنان، وأكبرتها لدلالاتها على اعتباركم وتقديركم للعلم ولمن ينتمي إليه ويخدمه، أدام الله عليكم نعمته، وجعل أيامكم كلّها حلوة، وحياتكم طيبة.

إخواني:

كاتبي ابني العزيز فخّار حمّو مهنّا بعيد الفطر ومعتذرا عن تعجيل عودته إلى معهده، بأنكم طلبتم منه انتظاركم في غرداية أياما حتى تلقوه فيها؛ فإن كان قدومكم قريبا جدّا فلا بأس، وإن علمتم أنه سيطول فرجائي الأكيد منكم أن تأذنوا له في الرجوع، فإن كلّ يوم يزيده في غرداية بعد العيد ضياع، ونعيزكم بالله أن ترضوا له بالتضييع وصرف الوقت في غير فائدة كبرى، وهو مهتّد بقرب الفصل عن العلم، ولقد أحسنتم كلّ الإحسان فيما مضى فوهبتموه للعلم كما نذر أبوكم؛ فحزتم الفضل من أطرافه، ونعتم برضى الوالد وهو ميت، ورضى الأئمة، ورضى المسلمين، ورضى كلّ غيور على دينه محب للعلم وأهله، ورضانا، ومن وراء كلّ ذلك رضى الله سبحانه

وتعالى ورضوانه أكبر؛ فأثموا إحسانكم وأكملوا عملكم بتمديد الأجل في العلم لأخيككم؛ فإنه — والله — أهل لأن يخلي سبيله نحو غايته المثلى، وما من يوم يزيد في معهده إلا ويقربه خطوة من غايته، ويزيدكم أنتم قريبا من ربكم، فتكتب لكم به حسنات، وترفع درجات، وتحط أوزار، وما الإنفاق على مثل أخيككم فنخار حمو في سبيل العلم ممن فيه استعداد للتعلم والتقدم بإضاعة ولا تبذير؛ وإنه — والله — لخير مقام تنفقون فيه، وما ضرركم أن تغضوا الطرف عن غيره إذا قمتم بالواجب فيه بعد أداء ما افترض الله عليكم؛ ففيه الإحسان وفيه البر وفيه صلة الرحم وفيه خدمة الدين والأمة والوطن؛ أدام الله نعمتكم وزادكم من فضله وأطال بقاءكم حتى تقرأ أعينكم بأخيككم، وتجنوا ثمار ما غرست أيديكم؛ والسلام عليكم ورحمة الله. دمت لأخيككم بيوض إبراهيم بن عمر»^(١).

● ثم إليكم الرسالة الثالثة في خريف 1943م وهي مزيج من التشجيع والتقريع والتثبيت والتبكي؛ وتحمل في طياتها أبلغ درس للشباب الذي يتهرب من تحمل المسؤولية، ويتفصى من تبعاتها فارعوها انتباهكم، واجعلوا توجيهاتها نصب أعينكم.

(١) — الرسالة كتبت في: القرارة 12 شوال 1360هـ/الموافق لـ 02 نوفمبر 1941م

«بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ولدي العزيز فنخار حمو بن عمر:

سلام ورحمة الله وبركاته.

قرأت كتابك مرتين أو ثلاثا إعجابا بأسلوبه الذي يسدل على اقتراب الحاسة الفنية من دور الكمال، وبما عرض فيه من آراء ونظريات تدل على اقتراب العقل من طور النضوج، وبما لاعم وناسب بين الحقائق التي يريد عرضها، وبين الصور المعروضة فيها.

أخذ الله بيدك، وسدد خطواتك، حتى تبلغ غايتك، قبل أن ينتبه الدهر إليك، فيأذنك بحرب لا تدري أتكون الغالب فيها أم المغلوب؛ بيد أنني ألاحظ في كتابك شكاة تفننت في عرضها، وقد سمعتها منك مشافهة مرّات، وأخوف ما أخافه أن لا تزال بها ولا تزال بك حتى تصبح خلقا متمكنا، وفجعية راسخة؛ فتصاب بذلك الداء الويل الذي أصيب به كثير من المثقفين وذوي الكفاءات، فحسروا أنفسهم وخسروا أممهم، ذلك هو داء الخوف من تحمل المسؤوليات، وتقلد التبعات، والفرار بكل وسيلة وطريقة من ميدانها.

ذلك الذي قعد برجال أي رجال عن تسليح ذرى الكمال، وذلك الذي يعد في شرع الجهاد والتضحية جينا شائنا وفرارا من

الزحف، فأعيزك بالله من هذا الداء الويل والخلق الشائن؛ على أنني من جهة أخرى أوول عملك هذا وشكائك والإمعان فيها بأنها مناورات تريد بها التفصّي ما استطعت، حتى إذا لم تجد سبيلا تقدّمت غير هيّاب ولا وجل، أليس كذلك؟

ثم إنني من جهة ثالثة جدّ مهتمّ بقضيّة زعامة البعثة، ولعلّي أريحك منها إن شاء الله، فعدّ آمنا مطمئنا.

وليس لي أكثر من هذه الدقائق لأطيل الكلام معك في موضوع الكتاب المهمّ؛ فيإلى اللقاء.

سلامي لولديّ العزيزين: فخّار عبد الرحمن ونور الدين، وقد بلغني كتابهما وأرجو ألا يبطئا بعد عيد الفطر، إذ لا ضرورة تقضي بتأخيرهما؛ ثم سلامي إلى أخيك وأمّك وسائر زملائك وجميع الإخوان، يسلم عليك المشايخ والتلامذة.

دمت لأبيك بيوض إبراهيم بن عمر» (١).

● والآن هلمّوا إلى الرسالة الرابعة الواردة في سبتمبر 1946م، في نهاية سنواتي الدراسية بالمعهد، وتتضمّن فقرات في مواضيع مختلفة كلّها ذهبيّة ثمينة تليق بالحفظ، لا بالاحتفاظ فحسب:

«بسم الله الرحمن الرحيم

ولدي العزيز فخّار حمو بن عمر:

سلام عليك وعلى الأخ الكريم وليّ نعمتك شقيقك فخّار محمّد ابن عمر؛ قدّر الله السعادة فيما عزمتم. عزيزي:

وصلتني كتبكما الثلاثة فاسمح لي أن أجمعكما في الجواب، فلقد رأيت بينكما من صلوات الودّ الصادق، والعطف المتمكّن، ووحدة الروح والفكر والغرض أفضل ما يتمنى أن يكون بين شقيقين مثلكما، تحذّرا من صلب واحد، وتكوّنا في رحم واحدة، وحضنهما حجر واحد؛ بارك الله لكما، وبارك عليكما، وحفظكما لبعضكما، وأدام عليكم نعمتكما. عزيزي:

أدخلت عليّ كتبك سرورا عظيما؛ بما حوت من أنباء، وبما يشعّ من كلماتها من نور الإيمان الساطع ونار الغيرة المنتهية، وبما ينبعث من أركانها من طيب الإخلاص والسماحة وعطر الوفاء والولاء؛ اغتبطتُ الاغتياب كلّهُ لشعورك بواجبك وإقدامك على تحمّل المسؤولية وتطوّعك للتهذيب والإرشاد الذين هما من أقدس واجباتك؛ وشكرت

للأخ الكريم بعروة^(١) إخلاصه وسماحته وكرم نفسه؛ إذ تخلى لك عن مركزه، وقدمك إليه، ولم ينفس عليك ارتقاءك المنبر، كما لم تنفَس عليه وهكذا يجب؛ ولا يركز الإصلاح إلا على إنكار الذات ورعاية الأصلح، ولست أقلل اغتباطا بما عزم عليه الأخ محمد؛^(٢) فإنني ممتن بيسر بهذه الفكرة التي أراها عصاما للبقية الباقية من الدين والشرف والمروءة في شبابنا، ووسيلة من أنجع الوسائل لتكثير سواد هذا الشعب المسكين الذي جنى عليه أفضع جناية طول الفرقة بين جنسيه، أمتعته الله بزوجه الجديدة وقدر له معها ورزقه منها ولدا صالحا، ووقفه إلى أمثل الطرق لتهديب بنييه وتنشئتهم على الاعتزاز بقوميتهم وأمتهم ولغتهم ومذهبهم؛ حتى لا تقدر عوامل المسخ والنسخ على محوهم وإزابتهم.

وأما الكتب التي أشار إليها معتذرا عما جاء فيها، فلا أذكر أنني اتصلتُ منه بكتاب منذ أمد طويل، ولعلَّ الشيخ عدُّون قبلها في غيبيتي، ومهما يكن فإنني إذن لا أسأل عنها ولا ألتمسها، فذلك أسلم للقلب وأرواح للنفس؛ فليطمئن باله وليهدأ روعه.

وأما ملاحظتكم على اصطحابي لعبد الرحمن^(٣) فنعما هي؛

(١) — بعروة بابا بن إبراهيم خريج جامع الزيتونة، تولَّى رئاسة جمعية الإصلاح بغرداية بعد وفاة الشيخ صالح بابكر.

(٢) — شقيق المؤلف.

(٣) — عبد الرحمن فخار.

وحبذا لو ذكرتموه بها وتبتهموه إلى ما ربَّما غفل عنه من شكرها؛ فذلك أعون على تهذيبه والبلوغ به إلى الغاية التي نرجوها له وفقه الله. وعلى ذكره وذكر أخيه أثبهما إلى تأييد الأخ عيسى فخار وتشجيعه على مواصلة الإنفاق عليهما، والاستعانة بذوي الأريحية والشهامة على ذلك؛ فإنني أخاف أن تتعاضمه النفقة وتكبر عليه فيقطعهما قبل النضوج، والشخ^(١) على الثمرة من عاهات الاختضار؛ فقد تجمع من متخلفات السنوات الماضية شيء جمع إلى نفقة العام قبلها كثيرا، على أنه في الحقيقة ليس بكثير، وعلى أننا نرجو نقص مقدار النفقة في المستقبل إن شاء الله؛ ولقد سألت عنه فقيل إنَّه لا يزال بقسنطينة، فبعثت بالكتاب والحساب إليه فيها، فإن كان قد سبق إلى بسكرة فردوا الكتاب إليه فيها، وإن كانت به حاجة إلى إعانتكم له ماديا فما أظنكم تبخلون.

تقبَّلت خمسة عشر ألفا حوالة بريد، ووضعتُ منها في حسابك اثني عشر كما أشرت، وقبَّلت الثلاثة آلاف شاكرا فضلكم، وإذن يبقى كيسك لدينا لي بخمسة آلاف وخمسين فرنكا، أرجو منك إرسالها عزما.

اكتب إليَّ بما جدَّ من الحوادث عندكم، وبما أقيم من حفلات أو اجتماعات في موسمي رمضان وعيد الفطر، وكيف التَّعْيِيد الخ.

(١) — في المخطوط كلمة غير واضحة أثبتنا مكانها لفظ "الشخ" ربما كانت هي المراد.

سلامي للأستاذ قاره الأخضر والشيخ صالح بن يعقوب (١)
والأستاذ بعروة، وجميع الإخوان فردا فردا.
يسلم عليكم الشيخ عدون والتلامذة.
دمتم للداعي لكم بكل خير يُبوض إبراهيم بن عمر» (٢).

● أما الرسالة الخامسة — وما أدراك ما الخامسة — أعزُّ
رسالة وأثنى علق عندي، وردت إلي في عطلة 1946م، فاقتنيت لها إطارا
وعلقته بمكتبي تذكارا. إليكموها في حلَّتْها القشبية وعطرها الندي.
وتأملوا كيف يتلطف في التوجيه، ويمعن في الحث على المبادرة
إلى اغتنام فرص الخير.

«بسم الله الرحمن الرحيم
ولدي العزيز فنحار حمو:

سلام عليك ورحمة الله وبركاته، وعلى إخوانك وسائر المعلمين.

(١) — قاره الأخضر بن أحمد من قدماء التلاميذ خريج الزيتونة مدرس بمدرسة الإصلاح
بغرداية. صالح بن يعقوب كان مدرسا بمدرسة الهدى بقسنطينة.

(٢) — الرسالة كتبت في: القرارة 05 شوال 1365هـ/الموافق لـ 01 سبتمبر 1946م.

إن اغتباطي بكتابك الأخير في موقفك الأول الخطير، خطيبا
مرتجلا في الجُم الغفير، وواعظا مرشدا ومفسرا حكيما للذكر الحكيم
وسط الجماهير، حيث الناقد بصير، حملني أن أكتب إليك في الساعة
التي قرأت فيها كتابك — وما ذلك من عادي — شاكرا لك إقدامك،
مهئنا لك على نجاحك، مبشرا لك باغتباطي ورضاي وسروري، ولقد
رَن صدى خطابك في أذني، وعرفت أثره في الخصم والنصير قبل أن
تكتب إلي، ولولا خطره لم ينقل إلي أثره، كذلك فكن بورك فيك،
﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]، وإذا حزب الأمر وجدَّ الجدُّ فبالتي هي
أحسن، قُلْ وروح القدس معك، واصدع بما تؤمر، فلمثل هذا خلقت،
وله أعددت وزودت، وما أحبُّ — والله — أن لي حمر النعم وأنتك
جنبت ولم تهجم، وأحجمت ولم تُقدم، فلم تقف موقفك ذاك، وأفلتت
الفرصة من يدك؛ فله الحمد والشكر على ما وفق وسدّد وأعان، والله
دُرّك إذ صدقت ما عاهدت الله وعاهدتني عليه، فضربت مثلا عاليا
لإخوانك وزملائك.

عزيزي:

إنك تعلم أن أكره ما أكرهه من الأخلاق: الجبن وضعف الثقة
بالنفس، وعدم الاعتماد عليها، والفرار من المسؤولية، وتخاذل القوى
عند اللقاء، أعاذكم الله منها.

ليس عندي ما أكتب إليك اليوم فيه غير هذا. أمّا إبداء الملاحظات، فلم أشهد الموقف، ولم أسمع الخطاب حتى أبدي فيه ملاحظات مفصلة، وأمّا الجملة فالإعجاب والغبطة، على أنّ لي من فطنتك وأناتك ورويتك ما يضمن لي أنّك راعيت مقتضيات المقام، في كلّ كلمة وكلّ حركة، وكلّ إشارة، وإن فاتك شيء في موقفك الأول فلن يفوتك في تاليه.

سلام الإخوان والتلامذة لك.

دمت لأبيك بيوض إبراهيم بن عمر» (١).

● وهذه الرسالة السادسة، وتمتاز أنّها حرّرت بلونين من الحبر لأنّها في مواضيع سياسية؛ ولا عجب فالسياسة تتلوّن كالحرباء ناعمة الملمس كالذبّاء (٢)؛ ولأنّها موجهة للشباب؛ والشباب مصطبغ العواطف المتناقضة المتباينة؛ ولأنّها كتبت على عجل، والعجلة لا تعرف التأنيق ولا تعباً بالانسجام؛ إليكموها في صفحة ليس بها سطور، وسطور مائلة لا تليق بالعبور: على إخوانك وحفظكم.

(١) — الرسالة كتبت في: القرار ١٩ شوال ١٣٦٥هـ/الموافق لـ ١٥ سبتمبر ١٩٤٦م.

(٢) — الذبّاء: نبات القرع.

«بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

عزيزي فخّار حمو بن عمر:

سلام عليك ورحمة الله وبركاته، وعلى إخوانك وزملائك الشباب حفظكم الله.

وصلني كتابكم الكريم؛ إنّ أسفي شديد مثل أسفكم على أنّ لم تُتّح لنا فرصة للاجتماع والتحدّث فيما ينبغي القيام به من أعمال، في مثل هذه الظروف التي اشتدّت فيها الحاجة إلى دم الشباب الذي يطعم به الجسم الناحل الهزيل؛ إنّ الذي أهمكم من أمر الضمان، وأمر تبديل نظام الحكم الاستثنائي (١)، وأمر رخصة جمعية القدماء، هو شغلنا الشاغل مع قضية الحياة.

أمّا جمعية القدماء: فقد أرسل الشيخ عدّون مقرّرات المجلس المنعقد أخيراً في القرارة، ومنها إعداد الملف لطلب الرخصة حالاً، والعمل جارٍ، وأمر تقديم طلب الرخصة بأيديكم كما أخبرنا به من القرارة فعجلوا.

(١) — الحكم الاستثنائي: يقصد به نظام الأحواز المترجة الذي كان يحكم به الأهالي في

ميزاب ممّا أعتهم بسبب التسلّط الإداري المحلي.

(٢) جمعية القدماء: قدماء الطلبة في معهد الحياة.

الحياة: إشارة إلى معهد الحياة ومدرسة الحياة التابعين لجمعية الحياة بالقرارة.

وأما تبديل نظام الحكم: فإنه حديث النواب في هذه الأيام، والبرامج تعد له من طرف كل حزب، ولن يتجاوز عرضه دورة أكتوبر - نوفمبر؛ وإنما نعمل بجد ونشاط لكسب أكثر عدد من الأصوات، والذي منع من عرضه الآن مسألة إلغاء الأحواز المترجحة من تراب الشمال؛ لأن هذا يجب الفصل فيه قبل ضم مناطق الجنوب إلى الشمال، وهذا معروض الآن والجدل فيه مستحضر.

وأما تبديل الضمان: أعني تحديد الانتخاب عاجلا على الطريقة القديمة، فهذا ما سنقدم فيه طلبا في هذه الأيام بعد إلحاح إخوان غرداية في طلبه لما يقاسونه من شيوخهم، ونرجو النجاح فيه، بيد أنه يكون فيما أظن بعد عطلة الصيف، سيما والرئيس غائب في عطلة، وإذا وجب احتجاج أو تقديم شيء أخبرناكم به.

أكتب إليك مستعجلا وليس بين يدي كتابك، فأذكر ما فيه خوف فوات الفرصة من قدوم كربوش⁽¹⁾ الذي استحثني وأنا اليوم قعيد الكتابة لعجز كبير من جهاتنا؛ وما هذه العجالة إلا سلوة ونقع غلة، فإلى فرصة أخرى وإلى اللقاء القريب.

دمت محفوظا لأبيك بيوض إبراهيم بن عمر⁽²⁾.

(1) كربوش سعيد بن موسى من قدماء التلاميذ.

(2) الرسالة كتبت في: الجزائر 11 شعبان 1368هـ/09 جوان 1949م.

● والرسالة السابعة كانت بنفس العام في شهر جويلية 1949م؛ وهي الأولى من نوعها بعد انقطاعي للتعليم بغرداية، والمشاركة في الإصلاح الديني والاجتماعي، وهي تتسم بالثقة بالنفس والصرامة والثبات على المبدأ، وتعطي صورة لأحداث سنة 1949م.

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي فخار حمو بن عمر:

سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وصلني كتابك وحساب باجو⁽¹⁾، والمرجو أن تبادر بالعشرة الباقية من حساب علوط وأوبكة⁽²⁾؛ فقد أدركتنا الحسابات الجديدة وأرهقتنا.

لا أعجب مما قام به العزابة مع الشيخ نوح، ولا بما قامت به الإدارة مع نائب الرئيس في أمر البعثة واستقبالها؛ فتلك «شنشنة أعرفها من أخزم»⁽³⁾؛ لا أرى داعيا لمكاتبة الإدارة ولا لطلب شيء منها، فالأمر أهون من ذلك؛ أما أنتم فاتبعوا طريقتكم بالعام الماضي: الخروج

(1) الأستاذ صالح باجو شاعر وأستاذ بمعهد الحياة.

(2) أوبكة عمر من قدماء التلاميذ أستاذ بمعهد الإصلاح بغرداية ومؤلف لعدة كتب.

(3) مثل عربي: وهو قول لأبي أخزم الطائي في أبناء ابنه أخزم وكانوا مثل أبيهم عاقين

لجدهم فقال فيهم: إن بني ضررجوني بالدم شنشنة أعرفها من أخزم.

من المحطة والذهاب إلى المدرسة مع الطريق الخارجي في صفوف منتظمة بأناشيد عالية، وأنتم داخل المدرسة أعظم حرية في خطبكم المتبادلة؛ فإن سالمونا فحسننا فعلوا، وإن أرادوا أمرا آخر فقد خيرونا وخبرناهم، ولن تتعاضدنا تضحية في سبيل المبدأ.

سلامي وسلام المشايخ والتلامذة إلى أعضاء الإدارة جميعا، إلى أبنائي التلامذة القدماء.

حفظكم الله لأبيكم بيوض إبراهيم بن عمر» (١).

● أما الرسالة الموالية وهي الثامنة فإجابات عن أسئلة طرحتها عليه، — بخط كاتبه — والجدير بالذكر منها ما ذيل به الرسالة بخطه من دعابة حلوة وهي كما يلي:

«الحمد لله وحده

ولدي العزيز فخار حمو بن عمر:

سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

منذ مدة وصلتني من عندك رسالة تحمل ثمانية أسئلة، وكل منها

يتفرع إلى سوالات عدة، وكنت أسوّف الجواب عنها حتى أتفرغ لها ولم تنزل الرسالة على مكنتي ضمن ملفّ السؤالات، وكلّما فتحت الملفّ لأجيب عن بعض رسائله أجدني أرجئ رسالتك قائلا لنفسي: إلى فرصة أخرى؛ ولا أدري لماذا؟ إلا أننا نعتقد أن للأمر موقيت مقضية مقدرة من قبل الحق جلّ جلاله، وهذه هي الساعة المقدرة للجواب؛ فدونك الأجوبة غير مصوغة في قالب السؤال والجواب، كما هي عادي وطريقي في السؤالات الشرعية، ولكنّها في صورة أحكام عامة ممّا صحّ في الكتاب والسنة، ومما عليه جمهور علماء الأمة.

أولا: العزل بالطريقة المعروفة قديما، وهي الإنزال خارجا، متفق على جوازه إذا رضي الزوجان، مهما كان الغرض منه، ويُحمل عليه في حكمه كل ما استجد من وسائل لمنع الحمل من لف الذكر في غطاء للإنزال فيه، أو تناول أقراص أو عقاقير أو حقن، أو غير ذلك من موانع الحمل، بشرط رضا الزوجين.

ثانيا: لا ينبغي أن يكون الغرض من منع الحمل الإملاق، أو خشية الإملاق، فالله تبارك وتعالى يقول في قتل الأولاد من إملاق: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: 151]، وفي القتل خشية الإملاق: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: 31]، وفي ضمان الرزق لسائر المخلوقات ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ

مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا [مود: 06]؛ ويخشى أن يكون منع الحمل تهرُّبا من نفقة الولد سوء ظن بالله.

ثالثا: لا يجوز مطلقا إسقاط الجنين بعد العلوق، وإن كان نطفة، إلا لضرورة محققة، كإنقاذ الأم من هلاك محقق؛ وأنت خير أن التحقّق هنا هو غلبة الظن عند الخبراء الاختصاصيين.

رابعا: ما يمارسه بعض الشباب ذكورا وإناثا مع أزواجهم من تقبيل العورات المغلظة وامتصاصها، ونحو ذلك إنما هي عادات إفرنجية قبيحة تسربت إليهم من مشاهدة أفلام الجنس الداعرة المفضوحة، ومن الصور الجنسية الخليعة في مجلاته وصحفه، وهو تسفل وانحطاط إلى الدرك الأسفل من البهيمية، يتنزّه عنه الخلق الإسلامي الرفيع، وقد علمت أن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت منه ولا رأيت مني» (١) — وبعض ذلك محرّم قطعاً وبعضه مكروه كما سيأتي.

خامسا: إتيان الزوجة في الدبر حرام قطعاً، بصريح الكتاب وصحيح السنة؛ فالله تبارك وتعالى يقول: «نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَلْتُوا

(١) — روى ابن ماجة هذا الحديث بلفظ: «ما رأيته منه ولا رآه مني»، وبغير هذا اللفظ

الطبراني وأحمد، وكلها روايات فيها ضعف، تتناقض مع الحديث الصحيح عن عائشة

— رضي الله عنها — قالت: «كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد».

رواه الشيخان. انظر: أبو إسحاق الجويني: الانشراح في آداب النكاح، ط ١ دار

الإمام مالك 1418/1997.

حَرْثُكُمْ أَنِّي شَيْئْتُمْ وَقَدَّمُوا لِأَنفُسِكُمْ [البقرة: 223]؛ فالإتيان المشروع إنما هو في موضع الحرث لا في محل الفرث، وقدّموا لأنفسكم في ابتغاء النسل والولد؛ فالإتيان إنما يكون في محل الولد؛ ويقول بعد الأمر باعتزال النساء في الحيض والنهي عن قرهن حتى يطهرن: «فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ» [البقرة: 222]، وهو محل الحرث والولد؛ وقد صحّ لعن النبي ﷺ لمن أتى امرأته في دبرها (١)، ولا يلعن النبي ﷺ إلا مرتكب الفاحشة الكبيرة.

سادسا: يرى بعض العلماء تحريم الزوجة تحريما مؤبدا بإتيانها في دبرها عمدا، ولا يرى آخرون ذلك، بل لا يزالان زوجين والعصمة بينهما قائمة، وإنما هما سرتكان لكبيرة عاصيان فاسقان قطعاً، تجب عليهما التوبة والاستغفار، وأنا أميل إلى هذا ولا أرى دليلا قويا يصح الاعتماد عليه في الحكم بالحرمة مؤقتة كانت أو مؤبدة؛ ويرى بعض علمائنا أن من تمام توبتهما أن يكفر كل منهما بصدقة خمسة دنانير أو ثلاثة أو واحد على الفقراء والمساكين ويطلقون على هذه الكفلة اسم — دينار الفراش —، هذا إن كانت الزوجة مطاوعة، وأمّا إن أكرهت على ذلك إكراها فأثمها بريئة لا إثم عليها ولا كفارة.

سابعا: الإتيان التام للمرأة في فمها بالإنزال فيه قبيح جدا ودنلة

(١) — روى في ذلك أبو داود حديثا، انظره في كتاب النكاح من سنن أبي داود

وخسنة، يتنزه العقلاء عن مثلها، ولكننا لم نجد نصا صريحا في تحريمه أو في لعن مرتكبه، ومع ذلك فقد قال بعض العلماء بجرمة الزوجة بسببه حرمة أبدية، ولا أقول أنا بهذا لعدم الدليل عليه، ومهما يكن فإن الأمر فيه أخف من الإتيان في الدبر أو في المحيض، ولا نرى في ذلك كفارة إلا التنزه والإقلاع.

ثامنا: خروج المني موجب للغسل قطعا نصا وإجماعا، لا نعلم في ذلك خلافا كيف ما كان السبب، جماعا حلالا أو حراما أو استمناء بيد أو نحوها أو احتلاما أو حتى بالنظر أو التفكير؛ ومع بقاء الجنازة بعدم الاغتسال لا تصح الصلاة، ولا عذر بجهل الوجوب، فالمستمني الذي ظن أن الغسل غير واجب عليه لأنه فعل ذلك بنفسه لا بغيره هو والمتعمد لترك الغسل مع العلم بالوجوب سواء في بطلان صلاتهما وصومهما إن وقع ذلك في رمضان ليلا أو نهارا.

تاسعا: على هذا المضيغ لغسل الجنازة جهلا بالوجوب أو تعمدا قضاء كل صلاة صلاها بجنازة مع القدرة على الاغتسال، وأما رمضان فإن أصابته جنازته في ليله ولم يغتسل فإن عليه قضاء كل يوم صامه متلبسا بجنازة سابقة من ليلته أو ثما قبلها من ليال، وليس عليه من القضاء شيء، وكذلك إن حدثت الجنازة في نهار رمضان باحتلام من غير تعمد وضيع الغسل فإن حكمه كحكم سابقه القضاء فقط لسائر الأيام التي صامها بجنازته تلك.

وأما إن أجنب متعمدا في نهار رمضان بمباشرة زوجه الحلال أو بأية طريقة أخرى متعمدا كاستمناء ونحوه، فإنه هاتك حرمة رمضان فاسق عاص ينهدم صومه كله، ولا نجاة له إلا أن يستشعر الندم على ما بدر منه ويتوب ويستغفر مما مضى ويقلع ويتوب توبة نصوحا، وهي العزم أن لا يعود إلى الذنب كما لا يعود اللبث إلى الضرع، ثم يقضي جميع رمضاناته التي ارتكب في أشهرها هذه الفاحشة، ثم يكفر عن كل رمضان كفارة مغلظة. وكذلك من هتك حرمة رمضان بالأكل أو بالشرب تعمدا، عليه التوبة والقضاء والكفارة لكل رمضان هتك حرمة.

عاشرا: المشهور عند الفقهاء أن الذنب الواحد الموجب للكفارة إذا تكرّر من صاحبه مرّات من غير أن يكفر فإن عليه إذا وقته الله إلى التوبة والإقلاع عن الذنب أن يكفر كفارة واحدة، تجزيه إن شاء الله عن جميع ما مضى؛ وإن أدى الكفارة ثم عاد إلى الذنب فإن عليه كفارة أخرى؛ لأن التكفير يجزي عما مضى ولا يغني عما يأتي، هذا كله في غير كفارة رمضان وكفارة القتل الخطأ؛ فإن لكل رمضان هتكت حرمة كفارة، ولكل قتل كفارة مهما تعددت وكثرت.

حادي عشر: اللواط فاحشة كبيرة قطعا يقينا تحجب على مرتكبيها التوبة والإقلاع والكفارة، وتكفي الكفارة الواحدة على ما مضى لا على ما يأتي؛ وإذا كان المفعول به صبيا دون البلوغ وجب له

العقر، وكذلك البالغ المكره المجبور، وتجزي محاللة الصبي بعد بلوغه أو مصالحته، وكذلك تجزي محاللة المكره أو مصالحته.

ثاني عشر: يندب ويستحسن للمجنب القادر على الاغتسل إذا كان وقت الصلاة المفروضة بعيدا أن يتطهر من النجاسة، وأن يتيّم فيباح له مسّ المصحف وتلاوة القرآن والسجود ودخول المسجد، وما لا ينبغي أن يمارسه من الأعمال على غير طهارة، حتّى إذا جاء وقت الصلاة اغتسل الغسل التام للتطهر من الجنابة، بل ينبغي هذا حتّى لمن أراد أن ينام بعد الجنابة، فيتطهر من الأنجاس ويتيّم وينام على طهارة ويذكر الله بالأذكار الواردة عند النوم وعند الاستيقاظ من النوم؛ ففي ذلك فضل كبير وتطهير للروح وتسريح لها لتسبح في ملكوت الله وتكون رؤياها صادقة بفضل الله.

ثالث عشر: الغيبة والنميمة من أفحش الفواحش وأكبر الكبائر ورد فيهما وفي وعيدهما الشيء الكثير في الكتاب والسنة؛ أمّا التوبة النصوح منهما والإقلاع عنهما فإنّه الواجب الأول المفروض عليهما، أمّا شروط قبول الله لتوبتهما، فإنّه يختلف طبعاً باختلاف الآثار الناجمة عنهما، فقد ينشأ عنهما شرّ مستطير تهتك فيه أعراض، وتوكل بالباطل فيه أموال، وتزهق أرواح، فكيف ينجو المتسبب في ذلك إن لم يصلح ما أفسده أو يضمن ما ضيعه؟ وقد لا ينشأ عنهما شيء من ذلك؛ فأمر الفريقين مختلف جداً عند الله عالم الغيب والشهادة، فلا نستطيع أن

نقول إلّا ما قاله الرسول ﷺ: «إِنَّ الْغَيْبَةَ لَا يَغْفِرُهَا اللَّهُ حَتَّى يَغْفِرَهَا صَاحِبُهَا»، وإنّ من توبة المغتاب إذا مات صاحبه أن يستغفر له فإنّ في ذلك كفارة له؛ وأمر النميمة أشدّ وأفضع لما ينشأ عنها من مفسد وشرور، فماذا عسى أن نقول فيمن ماتت ضحايا غيبته أو نيمته وأراد التوبة؟ إلّا أن يستغفر لهما ويسعى في إصلاح ما نتج عن عمله من فساد، وأن يكثّر من أعمال البرّ والإحسان وخاصة الصدقات وإصلاح ذات البين، ويكثر التضرّع إلى الله أن يحالّل عنه ضحاياه والله غفور رحيم.

رابع عشر: ليس على من يأتيه الناس لكتابة وصاياهم أن يخرجهم في السؤال عمّا ارتكبه في حياتهم من آثام إلّا ما صرّحوا به، وطلبوا المخرج منه، واسترشدوا الكاتب في ذلك، وإذا لم يبينوا عن حقيقة ذلك ولم يتوصّل الكاتب إلى وجه الحكم فيه فإنّ عليه أن يستفسرهم ويستوضح أمرهم حتّى يكون حكمه صحيحاً؛ وعليه أولاً أن يذكر لهم باختصار فرائض الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة، وكبائر الإثم المعلومة من الدين بالضرورة كذلك، ويشير إلى أنّ إضاعة كلّ فريضة أو ارتكاب أيّ كبيرة له في الشريعة حكم خاص، ثم يترك لهم الحرية فيما يقولون.

هذا ما منّ الله به في الجواب وأرجو أن لا يكون بعيداً عن الصواب.

حرره وأملاه الفقير إلى مولاه الغني أبوك الداعي لك بالخير
بَيُوض إبراهيم بن عمر.

قلت في آخر رسالتك: (وفي انتظار ردكم السريع العاجل قبل
فوات الأوان أستودعكم الله)، وأظن أن الرد كان سريعا عاجلا قبل
فوات الأوان، فإن رسالتك مؤرخة بيوم 05 ربيع الأنور سنة 1389هـ—
21 ماي 1969م، وهذا جوابي كان بعد أربع سنوات وتسعة أيام فقط؛
فإياك أن تقول: تعسا للعجلة، والسلام.

بَيُوض إبراهيم بن عمر⁽¹⁾

● وتاسعة المخطوطات التي هي الشهادة التي منحتني إياها،
كما لا أشك أنه منحها غيري ممن كان في مستوى كفاءتي، ومن هو
أكثر تفوقا وأعلى كعبا؛ غير أنني أؤثر أن أبديها ولا أخفيها؛ أداء
لأمانة التاريخ، وإيمانا ببركة ودعاء الشيخ؛ فهل يروق الجمع أو يهمله
سماعها؟ إذن فدوّنكم إياها:

«بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلّم:

(1) — الرسالة كتبت في: القرارة 27 ربيع الثاني 1393هـ/10 ماي 1973م.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾

[الفرقان: 01]، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله الذي بعث
متمما لمكارم الأخلاق وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا.
وبعد:

فإن تلميذنا النجيب السيد فخار حمو بن عمر قد حفظ عنا
كتاب الله أداء ورثما، وحقق قواعد الفقه الإسلامي في العبادات
والمعاملات، ودرس قواعد اللغة العربية من نحو وصرف واشتقاق،
وتأدب بالآداب الإسلامية، فكان حسن السيرة صافي الطوية، وقد
أجزناه أن يعلم أولاد المسلمين كتاب ربهم وأصول دينهم وقواعد
لغتهم؛ أخذ الله بيده ووقفه أنه سميع مجيب.

كتبه بغرداية غرة رجب 1373 الفقير إلى ربه الغني خادم العلم وأهله:
بَيُوض إبراهيم بن عمر.

● أمّا مسك ختام العرض المتواضع فرسالة زعيم أمة إلى
أنصاره في ظرف عصيب — توجه بها إلى قادة الإصلاح بوادي
ميزاب —، ولا أذكر كيف ترامت إلى يدي النسخة الأصلية،
واحتفظت بها لأنها وثيقة تاريخية نفيسة، وقطعة نثرية أدبية رفيعة،
أخرى أن تدرج فيما يختار من نصوص أدبية في كتب السنوات

الجامعية من شخصية جزائرية بارزة، عركت السياسة وعركتها؛ ومارست الشريعة وأشربتها، وذلت متون الأدب الرفيع فأسلس لها القياد وحطت عندها الرجال.

أنصتوا — يا أشاوس أولئك القادة الأسياد — للشيخ يُّوض يخاطب أنصاره في عهد الباشغوات والقياد؛ عساكم تكونون في عصركم في الكفاح والنضال الرواد في سائر البلاد...

«بسم الله الرحمن الرحيم

إخواني الكرام السادة بابكر صالح، وأعضاء جمعية الإصلاح بغرداية، والسيد اطفيش محمد، والبيدي صالح، وجميع إخوان يسجن، والسيد الشيخ الحاج أحمد، ومحمد بن بوهون، وسماوي، وجميع إخوان العطف، والسيد محمد بن الحاج إبراهيم، وأيوب بن صالح، وجميع آل نورة: (١)

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فإِنَّه لا رادَّ لقضاء الله ولا معقب لحكمه، لقد أعددت عدتي وأخذت أهبي وزمت حقيقتي لزيارتكم، ولقد علمت أنكم أعظم

استعدادا وأكثر تهيمًا لاستقبالي، وما بقلوبنا جميعا من الغبطة باللقاء المنتظر القريب وما ننجزه فيه من الأعمال، وما نعلقه عليه من آمال لا يحيط به وصف ولا يأتي عليه بيان؛ لكن ربنا القائل في شأنه ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾؛ وفي شأننا: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [القصص: 28]؛ قد خار لنا واختار، ولا نشك في أن الذي اختاره لنا خير لنا مما نختار، لقد صدمنا قبل هذه المرة بصدمات داهية ونكسات صدعت الأفئدة وأدمت القلوب، لكن وجدنا عاقبتها إذ انجلت عن فوز عظيم وريح كبير للإسلام، لو أننا عرفناها من قبل لبذلنا فيما أصابنا ما ملكت الأيدي من طارف وتلبد.

إخواني:

أما أنا فقد ألفت هذه الصدمات الشديدة وعرفتها وعرفتني؛ فما تقل من عزمي وما تحذ من عملي وما تضعف من نشاطي؛ بل تزيدني إيمانا ويقينا وشجاعة وثباتا وصبرا، وما أبالي شماتة الأعداء ولا شتم الخصوم؛ وأما أنتم فادعوكم إلى مثل ذلك، فقابلوا الحادث بجأش رابط وقلب طيب، ونفس مطمئنة، وإيمان راسخ، ولا تستفزكم شماتة الأعداء وفرحهم بعدم نجاح مسعاكم ظاهرا؛ فأنتم — والله — الراجحون: ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: 104].

ألستم في زيادة مطردة وهم في نقص مستمر؟

أليس إصلاحكم يزداد قوة كل دقيقة، وأطلال جمودهم تنتثر لبنها كل ثانية؟

أليست ميادين التمرين تمّدكم كل عام بشباب قوّي البنية صحيح العقيدة راسخ الإيمان ممتلئ فتوة وشجاعة، وفلولهم تتعثر في أذيال الخيبة هائمة على وجوهها تهافت على الفناء؟

(لا يصلح الفل ولو كانوا الأسد)؛ (١) لقد — والله — ربنا رجلا جزيلا من كل ما كادوه لنا، وغنمنا غنائم عظيمة من كل ما دبّروه؛ وسلمنا الله من كل ما يبتوه؛ عادت سهامهم في نحورهم، وتردوا في الحفر التي احتفروها، ووقعوا في الفخاخ التي نصبوها على مواتاة الظروف لهم ومساعدة بعض ذوي النفوذ، فكيف بهم إذا انقلبت الظروف وأزيلت الحجب عن العيون وانكشفت الحقائق للمبصرين؟ ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: 139]؛ دوموا على ما أنتم عليه من الإخلاص وثبات واستعداد وتضحية في سبيل الأمة والوطن والدين، يُدِم الله عليكم نعمته ولا يغيّر ما بكم، ويأخذ بأيديكم إلى ما فيه سعادتكم، ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مومنين.

إخواني الكرام:

لا أقول عن حادث اليوم كلمة؛ فإني لم أتبين بعد حقيقته

(١) — الفل من الفلول؛ وهذا مثل في هزيمة المتفرقين ولو كانوا أشداء.

ولا الأسباب الباعثة عليه، ولا أشير عليكم فيه إلا بالاعتصام بالصبر والسكوت، وأن تدعوا الأمر لأهله؛ وما فاتنا اليوم أدر كناه بالأناسة والحكمة غدا: وإن غدا لناظره قريب.

إخواني الكرام:

إن أخوف ما أخافه أن تضيق صدوركم بالأمر وأن تبرموا وتضجروا، ذلك — والله — أخوف ما أخافه من كل حادث ملم، وما يهمني أمر نفسي، فلي — والحمد لله — مما زودني الله به من الصبر والثقة بالقدر ما يضمن لي سلامة نفسي عن أن تضعف لحادث يلّم، أو مصاب ينزل، فعجلوا تبشيري بكتاب بأتكم كما يجب أن تكونوا ثابتين كالجبال الرواسي، راسخين كالأطواد، قد اطمأنت نفوسكم وطابت قلوبكم؛ بل أريد منكم اليوم أن تكونوا أصح إيمانا وأرسخ عقيدة وأثبت قلبا وأوفى نشاطا وأعظم ثقة بالمستقبل وأحسن تفاؤلا، وليحسن ظنكم أبدا بالله فإنه عند حسن ظن عبده المؤمن المخلص به.

وفقكم الله وأخذ بأيديكم وأنار بصائركم وسدّد خطواتكم، وفتح الأبواب ويسّر الأسباب لاجتماعي بكم في وقت قريب، إنه سميع مجيب.

دمتم لأخيكم المعترف لجميلكم الخجل مما تصابون به من أجله، الذي لا يعدّ نفسه بينكم زعيما ولا رئيسا، وإنما هو خادم أمين لأئمة

ودينه ووطنه، جندي بسيط لا يطلب بعمله منزلة ولا مقاماً إلا رضى الله عنه، ثم رضى ضميره؛ والذي يسأل الله في كل حين أن يقر عينه في أمته ووطنه وبنيه.

العبد الفقير: بيوض إبراهيم بن عمر.

وبعد فقد انتهينا من سرد هذا المحصول الفكري الغريب في باب؛

فما هي الاستنتاجات التي تحصلنا عليها؟

هذه المجموعة الفذة من الرسائل الإصلاحية الأدبية السياسية وليدة ماذا؟ وأثمرت ماذا؟

إنها وليدة عدة أسباب:

٥ أولها: الروح الإيجابية في كل من المعلم والتلميذ — «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» [الضحى: 11] — فلو قابل أحدهما صاحبه بالسلب لانعدمت الاتصالات؛ فلتُمت السلبية المقيتة وليبعد السلبيون، ولتحي الإيجابية وليعيش الإيجابيون.

٥ ثانيها: تحلي الطالب بالجرأة المحمودة والشجاعة الأدبية الرصينة، رائد استخراج المكنونات من صدور العلماء؛ فمن انطوى على نفسه وتقيب مخاطبة من يراه في علو كعبه سماء ما طاولتها سماء؛ بقي طول حياته في الحضيض يرتع مع الهوام وأخس الحشرات:

ومن لا يحب صعود الجبال يعيش أبد الدهر بين الحفر⁽¹⁾

٥ ثالثها: تحلي المعلم بخلق التواضع والحب والسخاء؛ فلو تعالى شيخنا وتعاضم لاحترق من دونه ولم يتنزل إلى مخاطبته خطاب الندد؛ ولو قلاه وحسده ما طاوخته نفسه أن يناديه بولدي العزيز وقربه واسترضاه؛ ولو كان من شيمته البخل لما بض بقطرة من مداد الملاحظة على سلوكه الخلقي أو أسلوبه الفني، ثم لعله جعله موضوع التندر والسخرية كما عهد من بعض المشيخين...

٥ رابعها: حسن النية وشرف القصد في كل من المعلم والتلميذ؛ فلو خابت النية وساء القصد من أحدهما؛ انصرم جبل المودة بينهما من أول وهلة، وانقطع المشوار؛ فالرجاء أن يكون الهدف — لدى الطالب — من التكوّن أن يمسي قنديلاً يضيء ما حوله وسحابة وطفاء تُمرع تربتها، وصرخة أفغانية مدوية توقظ النوام وتزلزل أعراس الطغاة وتبدد الأحلام، وحلقة ذهبية تصل الماضي بالحاضر، ونطاقاً حريراً عبقرياً يلّم الشعث ويجمع الشتات، وسحراً بيانياً يصحح المفاهيم ويحطّم الأقانيم... وبكلمة — أن يصبح نسخة من معلمه الذي امتلأ به إعجاباً: يخلفه في مهامه واهتماماته ما وسعته مواهبه وقدراته...

ثم الرجاء أن يكون الهدف — لدى المعلم — من التكوين

خلق نموذج حيٍّ على منواله؛ يتسلَّم مقاليد الدعوة إلى الله من بعده بجرارة، ويستमित في إبلاغها في صمود، ويتابع المسيرة في أناة وصبر، لا يفُلُّ حدهما ملل ولا إعياء، ويعقد العزم على المضي بهمة لا يعترئها نخاذل ولا نكوص، وإذا ما اعترضت سبيله زينة الحياة الدنيا لتُلوي عنانه عن وجهته — ولا بدُّ أن تعترضه يوماً ما — استعصم وتأسى ودفعها بكلتا يديه قائلاً: معاذ الله؛ إنه ربِّي أحسن مثواي؛ إنَّه لا يفلح المتقلبون والمتحولون....

⑤ خامسها: الثبات في حضيرة العلم وعدم استعجال الوصول إلى الغاية من رتبة وشهادة؛ فإنَّما نجح من نجح هنا وهناك وهناك من جرى على سنن الكون التي لا تبدِّل من أجل أحد؛ وقد قضت — وقضاؤها مبرم — أن لا تمنح النضج لمن يريد تخطي المراحل على عجل؛ بل لمن يتدرَّج معها في خضمِّ الحياة كما تدرَّج معها في رحم الأمهات: من نقطة إلى علقه، من علقه إلى مضغة، من مضغة إلى نفخة الروح؛ هذه طريق النبغاء وسبيل المصلحين، حتَّى القدوة المثلى محمد ﷺ لم ينه دراسته إلَّا بعد ثلاث وعشرين عاماً، مشحونة بالصبر الجميل في تلقي القول الثقيل، ولم تتح له فرصة طيِّ المراحل سوى مرَّة واحدة في عمره عند ليلة الإسراء والمعراج؛ إرهاباً بقُدوم عصر السرعة لمن بعده؛ على أن في العلماء حتَّى اليوم من يقول إنَّها رحلة روحية لا جسدية، فليربأ على ضلعه من يحاول الطيران بالخوافي قبل أن

تشتدَّ قوادهمه...

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل^(١)
⑤ سادسها: الاتِّصال المباشر بوليِّ التلميذ ودراسة الظروف العائلية لا يزال خير عون للمؤسسة التربوية المخلصة على النجاح في مهمَّتها؛ وذلك ما كان شيخنا — رحمه الله — يجتهد فيه؛ — وكم حالت شفاعته الحسنة لدى الأسر — وله نصيب منها — دون الانقطاع والبر والضياع؛ ونحن على طريقته المثلى سائرون ناجحون والفضل له بعد الله.

⑥ سابعها: أثر تشجيع البعثات العلميَّة ورعايتها: لعلَّ ممَّا علم من الدنيا بالضرورة أنَّ المغترب عن أهله وذويه متى تعهَّدته أيد أمينة لا يدرك له شأو؛ لكن بالضبط والتحديد لماذا؟

ذلك أن ما يمرُّ عليه المغترب من مضايقات قاسية وتجارب عاتية لا يعرفها ولا يصادفها قعيد داره، وأليف جاره، مهياً غذائه وعشائه، غسيل كسائه وردائه؛ لأنَّه مدلَّل أبويه، ومخدوم أخويه، وكلَّما اقترف مخالفة في الداخل أو الخارج وقَّته من العقاب الحصانة البرلمانية من جدِّيه وجدَّتيه، وإذا خطر الزواج على باليه أو مباليه وهو لا يزال

(١) — البيت للشاعر القطامي؛ انظر ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة تحقيق د. إحسان عباس، الدار العربية للكتاب ليبيا وتونس 1979، القسم الثاني مج

يرضع إبهميه تلفت فإذا العروس بين يديه كأنما شقها الرحمن من ضلعيه... فما أشبهه بأبيه الأول في أولى جنتيه: لا يجوع فيها ولا يعرى، ولا يظما فيها ولا يضحى...

أما المغترب فما أشبهه به بعد هبوطه إلى الأرض: يمشي في مناكبها حافيا حاسرا، ويبلو حُلُوها ومرها صابرا، ويتجرع غصصها راغما، ثم يشهد فيما يشهد باكيا ما تكهن الملائكة بوقوعه سلفك دم الشقيق لشقيقه، ثم فطنة الغراب، وعجز خليفة الله في التراب، عن مواراة الجثة تحت التراب...

وهنا يكمن السرُّ أن خلق الله لآدم جنتين: مؤقتة للعبور، وخالدة للاستقرار؛ وإنما كانت الأولى مؤقتة لأنها منحة دون عناء، ووسام من غير استحقاق، ومعجزة قبل نبؤة... وكانت الثانية سرمدية أبدية لأنها مكافأة على جهد وتعزية بعد بلاء، وإنعام إثر فتنة وحسرة ودموع...

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْزِئِينَ الْبَاسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ﴾ [البقرة: 214].

وهنا يطيب لي أن أعلن — اعترافا بجميل القرارة —: إن السنوات التي قضيتها بما مغتربا ضمن مجموعة الغرباء، هي التي كوَّنتني واكتشفت فيها شخصيَّتي؛ فكانت لي خير عون على مجاهدة ما ينتظرني

من تتلبَّات وصعوبات في الحياة العلميَّة؛ لما ذقت خلالها من عيَّات الصراع في المجتمع الكبير؛ فخرجت كالمطعم ضدَّ جميع الأمراض المتوقَّعة، وبرزت بفضل ذلك وفي سحيِّتي أن أحمل الكلَّ، وأكسب المعدوم، وأعين على نوائب الدهر، وفي روعي أن الحياة أخذ وعطاء، ومدح وقدح، وهجر ووصل، وجد وهزل، وصفاء ورياء، وأنَّ ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون.

وهكذا كلُّ من مرَّ على المحكِّ — كما تمرُّون اليوم أيُّها الوافدون من الطلبة — سوف لا يستفرُّه الخطب وإن طمى، ولا تبطره النعمة إذا افترَّت له مباسمها، ولا تفقده النكسات — مهما توالى وتنوعت — ثقته بنصر الله؛ والبلسم الشافي إذا تمطَّى ليل الحن بصلبه، وأردف أعجازا وناء بكلكل، أن يهرع المؤمن إلى الدعاء الأمثل «اللهمَّ إني أعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»^(١)، «وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ» [البقرة: 45].

◉ أمَّا ثامنة اللقطات من رسائل المحتفل به وهي آخرها فتعلّق بفنِّ قيادة الجماهير... والذي استوحيته منها: أن على القائد أن يكون على جانب كبير من المرونة والحنكة ولين القول وانتقاء العبارات، وعلى حظٍّ أوفر من التفاني في خدمتها والعطف على صغيرها

وكبيرها، وعلى مستوى عال من رحابة الصدر؛ للاحتمال لها في تصرفاتها وتحمل طيشها والإغضاء على قذى هناها وتفاهاتها.

فبفضل ما اتسم به المحتفل به من هذه الخصائص العزيرة المنزل كما عرفناه وكما تنم عليه رسائله ساد أمته ودانت له الرقاب، لا بما معه من علم غزير أو تفوق ذهني أو منعة في القوم، فعلى من ابتلي بالقيادة بأي مجال وعلى أي حال أن ينحو ذلك النحو وإلا كان من الراسيين.

هذا وإن في قدوتنا — أثابه الله — على جهاده لجوانب من العظمة غير مجال المراسلة، ما يستغرق الليالي والمجلدات، ولولا أنني حصرت موضوع حديثي فيما حصرت لرحت في متاهة من القول لا آخر لها؛ وعسى أن تسنح فرصة أخرى لإلقاء الضوء على جوانب لم يطلع عليها غير خاصة، إذا أذن لنا أن نطرق بابها، وزودنا بالمراجع التي منها تستقى، فإنما نجود متى عثرنا على معدن الجود

يجود علينا الخيرون بما لهم ونحن بمال الخيرين نجود

ووداعا لك أيتها الأنامل الخيرية الكريمة السخية.... ما تركك ترتعشين في أواخر أيامك من كثرة ما كتبت وصافحت ونافحت؛ ليهنك اليوم أنك لا تمسكين بعد قلما ولا تدبجين حرفا؛ ولذلك تؤجرين كما نؤجر، كأنك لا زلت يملى عليك وتسطرين؛ نامي ملء جفونك عن شوارد ما حبرت، وليسهر القوم جرأها ويختصم.

أيتها الأنامل الملائكية: ناولي أنامل الوافد عليك غدائر الحور يلهو بها، وأوتار العيدان يزهو بها، وأكواب الهناء يتسلى بتحسُّسها وتلمُّسها، ريثما ينتشي بصبوحها وغبوقها، وصافحيه عنا مصافحة الحبيب المشتاق للقائه، وأبلغيه أننا إن شاء الله على العهد من المهد إلى اللحد.

أيها الأعزَّاء:

شكرا لكم على ما أتحتم لي من فرصة للإفضاء بما يعتلج في صدري وتحويه كناتي، والحمد لله الذي أطال سلامتي حتى أفرغت جعبي، وأزحت ثقل الأمانة عن رقبتي.

جعلني الله وإياكم من الحريصين على التزوُّد من الباقيات الصالحات، والولد الصالح الذي لا تنقطع عن والديه ومعلميه منه إمدادات الدعوات، وسدّد خطانا ووقانا العثرات وعصمنا من الغفلات، وغفر ما يصدر عن ألسنتنا وأقلامنا من فلتات.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام عن المرسلين والحمد لله رب العالمين».



القسم الثالث

القسم الثالث

• نموذج من رسائل التلميذ إلى أستاذه

• نموذج من رسائل التلميذ إلى أستاذه

• نموذج من رسائل الأستاذ إلى تلميذه

• نمونہ من رسائل الأستاذ إلى تلميذه

نموذج من رسائل التلميذ المقتدي إلى أستاذه العطوف

رسالة إلى الشيخ في المعتقل^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله.
فضيلة أستاذنا الجليل الشيخ بُيُوض حفظه الله، نَجَّاه الله من الغمِّ
وكذلك تُنْجِي المؤمنين.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. لم أكن أعرف أنَّ الاتصال
بكم ممكناً؛ ولذا فأنا لمجرّد علمي بذلك، أُسرِع فأحييكم تحية حارة
ملؤها ما تعهدونه في ابنكم من المحبة والولاء، وأعانقكم عناقاً طويلاً
بروحي الذي لو قُبِل فداء لكم لفعل؛ وإني لعلّى يقين في الله أنَّ
الإفراج عنكم قاب قوسين أو أدنى؛ ومن يدري لعل كتابي لا يدرككم
إلاَّ خارج المعتقل، أو سيكون بشير الخروج... كلُّ ذلك أرجوه...
إلاَّ أنّي مع ذلك لا أحبُّ أن أضيع الفرصة فلا أتصل بكم لحظة إطفاء
لغلة الشوق في نفسي، وإسداء لبعض السلوى لشخصكم الكريم،
الذي لا يبالي بهذه المضايقات والمداعبات السخيفة...
وإذا كان لي أن أحدثكم عن شيء — فعلى أن القوة المعنوية في
قلوب أبنائكم من حدود تونس إلى المغرب، ومن قلب الجزائر إلى رأس

شاكلا مسقا

هناك أسئلة لا يمكن أن تكون

منهية لما لا تسألنا ليس

الرجاء الصالح... لا تزداد إلا قوّة وحرارة وإمعاناً في التمسك بالدين القويم، وحماية مقوماته، من مشاريع ومدارس؛ وأمّا ما سوى ذلك فهي في نظرهم مجرد محاريب وثمانيل وجفان وقدور مقلقلات.

ويسرّني أن أحيطكم علماً أنّنا بغرداية أخطرنا في سلك (إيروان) المئذ أسبوعين عشرة إلاّ واحداً من أبناء البعثة، فانضمّوا إلى من سبقوهم، وزادوا قوّة إلى قوّتهم، التي نرجو لها مدداً لا ينقطع على مرّ السنين.

وأخيراً — وقد أرفّ رحيل حامل كتابي إليكم — أترفق فأرفع إلى جنابكم الكريم أحرّ التعازي على موت الشيخ البركة الإمام السيّد عمّنا الحاج أحمد بن الحاج إبراهيم أوجانة، أحد أعضادكم الأشلاء في نشر الصلاح ورفع راية الإصلاح، تغمّده الله برحمته وأسكنه فسيح جنانه، ولنا فيكم يا مشايخنا خير عزاء. أطال الله سلامتكم، وقرب ساعة خلاصكم، وجعلها سبب المثوبة والغفران؛ ورفع القدر والشأن، وفقاً عيون الحاسدين وانتقم من الشامتين. والحمد لله ربّ العالمين.

ابنكم الراجي لقاءكم قريباً الدائم الدعاء لكم بالنصر المؤزّر:

فخار همّو بن عمر.



(1) — إيروان الطلبة الحافظين القرآن الكريم المؤهلين لحضور حلقات درس شيخ العزابة.

هتئة باسترجاع الشيخ أملاكه (1)

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله

أستاذنا الجليل الشيخ ييوض حفظه الله وكان في عونه دوماً: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ الرجاء أن يوافيكم كتابنا في أتمّ صحّة، وأكمل إيمان، ونهتئكم وأنفسنا على ما بلغنا من وعد الحكومة ردّ ممتلكاتكم المغصوبة، ونرجو أن الوعد قد تحقّق أو كاد.

ثمّ إنّنا نستأذنكم — كالعادة — في إرسال كوكبة من التلاميذ الراغبين في الاستزادة من نبع التربية والعرفان، آملي أن يفتح الله لهم على أيديكم خزائن فضله، فيعمرون ناديا أو يعبرون واديا؛ ويُجعل للأمة بهم نفع، وننال من أجلهم عند الله مثوبة وأجرا.

..... (2)

هذا ما انتهى إليه علمي وجرى على يدي؛ وقد يلتحق بالجدد نحو ثلاثة ثمن لا تزال المفاوضات بشأنهم جارية، وقد ينقطع بغير إخبار أحد — كما هو الشأن في المدرسة الابتدائية — فلا مؤاخذه.

وهناك تلميذ طلب ولّيه الانخراط بالبعثة منكم مباشرة؛ نرجو أن لا يحسب علينا لثبوت فساد ذلك الولي من حيث تسديد ديونه فهو

(1) — الرسالة مؤرّخة بـ: ٠٦ ديسمبر ١٩٦٥ م. أسبقاً لردّ رطله وما رطلها — (1)

(2) — في الرسالة قائمة بأسمائهم وأسماء من انقطعوا. — ١٩٦٧ م. —

مماطل أو على الأصح ناكراً.

هذا وسوف يرافق فوج المصلّي (١) الأخ كربوش سعيد الذي سيزيدكم ورئيس البعثة تفصيلاً عن الجميع، أمّا أنا فذهاب — إن شاء الله — للمشاركة في مؤتمر الكشافة بالجزائر؛ نسأل الله أن يسدّد خطانا ويلهمنا رشدنا، ويغلبنا على أنصار الكشف والفضيحة.

ابنكم: فخار حمو بن عمر



التهنئة بالعيد وباسترجاع الممتلكات (١)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

أستاذنا الجليل الشيخ ثيوض أتم الله له الفرحة والسرور، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

من ابنكم فخار حمو بن عمر.

أستاذي: بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك أرفع لجنابكم أخلص التهاني وأجملها، داعياً الله أن يحييكم إلى أمثاله متمتعين بالصحة والعافية مع ذويكم، وفي ظلّ البركة الأمّ الرؤوم أطال الله سلامتها؛ وأنالكم دعوتها، وإني لأشعر باغتيال عظيم وأنا أكتب إليكم ههنا هذا العام لزوال ما كان يقض مضجعي ومضجع كلّ مصلح صميم — تأميم أملاككم — وما استلاب الممتلكات هو الذي آلم وأوجع، إنّما هي إهانة العلم ومضايقة الدين والفضيلة والرجولة الحقّة في شخصكم المحبوب المحترم لدينا، وإذا كان لنا أن نسدي إليكم تهنئة على انفراج تلك الأزمة — بعد تهنئة نفوسنا الحائرة القلقة — فعلى ما أبديت من رباطة جأش، وابتسامة المتفائل، وتفويض المتوكل... فلننتقم لكلّ من العدو والصديق درساً مثالياً جديراً بكلّ تقدير وإعظام؛ لننتقم

(١) — المصلّي اسم يطلق على القسم الخاص بتحفيظ القرآن الكريم في مدرسة الحياة بالقرارة.

العدو من كل طبقة ومن كل نوع أَنَّ رأس مال المؤمن في دينه هو ما
يضمن به سعادة أخراه، وإيمانه وتقواه؛ فلم تكثرت لما صنعوا ﴿إِنَّمَا
صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [سورة طه: 26]
فألقيت ما في ضميرك من دعوات مستجابة فإذا هي تلقف ما
يافكون....

وَلَقَدْ نَتَمَّ الصَّدِيقُ أَنَّ عَلَى صَاحِبِ الْحَقِّ أَنْ يَصْبِرَ وَلَا يَسْتَيْسِرَ،
وَأَنْ وَاجِبُهُ أَنْ يَصْمَدَ وَلَا يَنْكَسَ، وَأَنْ يَتَسَمَّ ثُمَّ يَتَسَمَّ لِكُلِّ نَازِلَةٍ وَلَا
يَعْبَسَ، وَأَنْ يَسْتَصْحَبَ مَعَهُ حَيْثُ سَارَ قَوْلُ اللَّهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَلَا تَهِنُوا
وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ
مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ، وَلِيُمَحِّصَ
اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: 139-141].

فليهنكم - أستاذي - أنكم اقتبستم من صبر أولي العزم، ولم تستعجل لهم ... وأنت صبرت نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ولم تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا؛ ولأنك لم تطع من أغفل الله قلوبهم عن ذكره، وأتبع هواه وكان أمره فُرطاً.

هدانا الله لتأثر خطاكم، وأحيانا وأحياء حتى نشاهد مصارع
عداك، ونصرة حواريتك من أولئك الذين كتب في قلوبهم الإيمان
وأيدهم بروح منه. والسلام عليكم ورحمة الله



تهنئة بالإفراج عن معتقلين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

سعادة قادة الفكر الميزابي لحزب الإصلاح بالجزائر وعلى رأسهم العلامة أستاذنا الجليل الشيخ بويض:

حفظكم الله وأمدنا وإياكم بعون منه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، من أخيكم فخار حمو بن عمر.

أيها الأعزاء:

باسمي واسم أبنائكم وإخوانكم شباب وشيوخ الإصلاح بغرداية، أرفع إليكم تهانينا القلبية على الإفراج عن أخويننا من معتقلهم بورقلة، نتيجة لجهودكم الجبارة المكثلة بالظفر.

وبهذه المناسبة أود أن لا أزعجكم إذا أخبرتكم أن عضوين عاملين من عمال البلدية الموحدة^(١) قد أوقف أحدهما لمدة شهر، وهو الأخ ابن شيشة قاسم بن سليمان مساعد المهندس الرسمي، وأنذر بمثل ذلك زميله علواني محمد بن إبراهيم؛ ولما سألا عن السبب في هذا الإجراء، أجاب كل من شيخ البلدية ونائب عامل العمالة — كل على حدة — أن ذلك صادر ممن فوقهم، ولا علم لهم بذلك؛ وإذا دل مثل هذا

(١) — إشارة إلى بلدية غرداية التي كانت تضمن قرى وادي ميزاب.

الإجراء على شيء، فإنما يدل على أن هناك سياسة مرسومة متواطأ عليها في دوائرنا الفاسدة أجهزتها؛ وهو إقصاء أبناء الإصلاح واضطهاد قادته في كل ميدان، ليصفو الجو للمتشابهين قلبا وقالباً؛ وعليه فالرجاء منكم — والله في عونكم — العمل المتواصل الدائب الذي لا يعرف الكلل لاستئصال رؤوس الشر في المنطقة بكل وسيلة، وعدم التوقف والقناعة لمجرد قطع الرأس، فللأذناب خطر السباع أحيانا:

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها إن كنت شهما فأتبع رأسها الذنبا سيما في ربوعنا الشاذة، التي تساعد حتى الأرانب على الاستئساد بله الدببة والنمور، وكم في كل مجال من أذناب هي أصل الداء !!! كلما استبدل رأس نفثت فيه سمومها؛ فلم يمض وقت قصير حتى كلن كسابقه أو أشد خطرا:

وفي النفس حاجات وفيك فطانة

فلا نطيل فيما تغني فيه الإشارة، سلمنا الله وإياكم من الآفات، وحقق على أيدينا ما نحن به أحق من كرامات.

ابنكم: فخار حمو بن عمر

تهنئة بمناسبة عيد الأضحى المبارك (١)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

فضيلة أستاذي الجليل الشيخ بيوض حفظه الله ورعاه:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بمناسبة عيد الأضحى المبارك أرفع لجنابكم المحترم أحرّ تهاني راجيًا من المولى الكريم أن يعيده عليكم وعلىنا متمتعين — أنتم وأسرتكم وجميع أبنائكم — بالصحة والعافية والحيوية والنشاط، وأن ينسئ الله في أجلكم لبلوغ أكثر ما يمكن من صالح الأعمال، واكتناز أوفر نصيب من المثوبة والأجر؛ حتى تكونوا مع من أحببتهم وكافحتهم من أجل ما خلّفوا من مبادئ وعقائد، من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

واسلموا لابنكم: فخار حمو بن عمر



انطباعات عن ملتقى التعريف بالفكر الإسلامي الثاني (١)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

فضيلة أستاذي الجليل: الشيخ بيوض حفظه الله وأدامه سبب الخير والنعمة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

من ابنكم فخار حمو بن عمر.

وفاء ورعاية لجميلكم الأخير وليس الآخر، وهو منحي حقّ التزكية للدورة الثانية من ملتقى التعريف بالفكر الإسلامي، أرفع لكم من مَفْتاح خالص شكري وعظيم امتناني، لما أتحتم لي من فرصة ثمينة مكنتني من فوائد حمّة، ما كنت لأحصل عليها لولاكم.

أجل لقد كان ملتقى حيّا بما تجمّع إليه من مختلف جهات القطر من طلاب يهّم الطالب الميزابي التعرف إليهم وتعريف نفسه لهم، ولو لم يكن منا غير السمة والهدى لكفى؛ إذ يرون نموذجاً حيّاً للإصلاح مطبقاً في ذوات كذواتهم، على أنّ الأمر — كما لاشكّ تتصوّر — وتتوقعون — لم يقتصر على ذلك، فهناك مناقشات حادة وتساؤلات أو بالتالي إجابات على تساؤلات محيرة كثيرة، أجملها فيما يلي:

• لماذا نراكم منعزلين في المجتمع الجزائري؟

• لماذا لا تتزوجون منا ونتزوج منكم؟

• لماذا لا تقتنون في الصلاة؟

• لماذا تطول مدة القصر عندكم فوق ثلاث؟

• لماذا لا تصلّون معنا في مساجدنا؟

• لماذا نرى أبناءكم في الجامعة سلبين لا يختلطون بنا خصوصا في الصلاة بمسجدها، الذي كافحنا كثيرا في سبيل جعله ساري المفعول؟

• ما هو المذهب الإباضي؟ لماذا لا يذكر ضمن المذاهب الأربعة؟
ما الذي جعله نسيا منسيا؟ أين يوجد هذا المذهب عدا الجزائر؟
متى بدأ؟ وما سبب تكوّنه؟

• كيف تحيون في بلادكم؟

• هل تشاركون في التعليم؟

• ما البراءة؟ وما أثرها؟ ...

وهكذا... ثمّا دلّ على جهل مطبق عَنّا في الأوساط الطلّابية، وعلى معلومات مشوّهة سخيّة، بحاجة إلى حملات واسعة النطاق لتصحيحها وتنقيتها، وإحلال الحقائق المشرّفة محلّها؛ وهنا أعترف أنّ زاد الكثير منّا لمجاهدة الرّدّ لم يكن إلّا زادا ضئيلا هزيلا مع الأسف الشديد.

وبذلك نجد أنّ طالبنا يتهرّب من إقحام نفسه بين القوم مخافة أن يتورّط، كما يتهرّب هناك بميزاب من عمارة المسجد ومدارسة القرآن مع الدارسين خوف الافتضاح، فلا هو بعالم هنا ولا هو بحافظ هناك.

ولعلّ ذلك هو نفس السبب الذي يجعل طلبتنا يُسرعون إلى تغيير أزيائهم، ويحرصون على ألاّ يظهرُوا بمظهر المتميّز، لأنّ التميّز يُلفت النظر، ويُغري برمي الحجر، ولا سلاح ولا عاصم من معلومات عميقة عن تاريخ المذهب ورجاله وتفكيرهم الإسلاميّ الواسع يتذرّعون به لدى المحافل والملتقيات.

أي نعم! مذهب بلا رجال، وإباضية ولكن لا يدرون لماذا كانوا إباضية! إلى درجة أنّ الواحد من طلبتنا — ولعلّ أنا واحد منهم — يكاد ينشد مع المعريّ قوله أحيانا:

هذا جناه أبي عليّ وما جنيت على أحد

أثبت لكم رجاء... رجاء أن تعدّوا للطلبة توجيهها خاصّا في الشأن، ولست بهذا أروم إحياء نكرة — يعلم الله — أنا فقط أغار على تراث خالد جهله الناس، وجهله أهله أنفسهم إلى درجة الاستحياء، وهم الذين هم — لو علموا — أحقّ من في الجزائر والعالم الإسلاميّ فخرا واعتزازا بماضيهم المجيد.

أول عمل: يجب علينا إعادة المعنوية المنهارة للمذهب في نفوس بنيه، لابنيه العاميين، فهؤلاء لهم من العصبيّة القوميّة ما يقوم مقام

الثقافة، وهم قد فرضوا وجودهم بكل الأنحاء، واعتزوا بما عندهم في كبرياء وشجاعة وإباء، ولكن بنيت الخربجيين الفطناء، الذين نعدّهم عدّتنا وذخرنا، وهم من الشكّ والارتياب والحيرة في مذهبهم بمثابة زملائهم الجامعيين من قضية الإيمان والإسلام وصلاحيته للحياة...

أمّا العمل الثاني: فأصدار سلسلة من الكتب والنشريات للتعريف بالمذهب، تنهال على القطر كالوابل الهاطل؛ وبغير ذلك لا يرجى لنا غير الخفوت والذبول، ثم الموت السريع لا قدر الله...

هذا وإنه لمّا يثلج الصدر في الملتقى اتسامه بسيما الإسلام، بإقامة الصلوات جماعة بعد أذان، وكون ذلك في كنيسة استرجعت، وأنّ أبناءكم الأعزّاء وأغلبهم من القدماء قد ظهروا في الملتقى بالمظهر المشرف؛ ما جعل المنصفين وغير المنصفين يجهرون بإعجابهم بالشباب الإباضي، ويحمدون الله على هذه الفرصة التي مكنتهم من التعرف بهم، وبمذهبهم المعرفة الحقّة الصحيحة؛ وذلك بما ألقى من بيانات ومواعظ أحيانا وأناشيد.

أمّا جوّ المحاضرات فقد كان جوّاً حيويّاً منعشاً، بما أثير من إشكالات حول الإسلام، وطرح على السادة العلماء الأجلاء — خاصّة أبو زهرة، ونديم الجسر — من سوالات تحمل شكوك الطلبة الحائرة، وتعبّر على مدى عمقها في الشباب الجزائريّ الجاهل بدينه جهلاً يكاد يكون مطبقاً.

ولقد سمعت الكثير يعترف أنّه استفاد من الملتقى استفادة جليّة، رغم ما يتخلّله من فوضى أحيانا من تخلف بعض المحاضرين يعزى إلى عدّة عوامل.

وإذا كان لي أن أشيد بأحد هنا فبالأخ النصوص رشيد بن عيسى مدير الملتقى؛ فقد كان مثال النشاط والدأب والسمهر على نجاح الملتقى؛ ينفق كلّ ما يملك من طاقات في سبيله. وقد أعانه على ذلك الصلاحيات الواسعة بل المطلقة التي خوّها الوزير إياه، وكان أهلاً لها — والحقّ يقال — فقد كان واسع الاطلاع على شبّهات الأعداء، خاصّة الشيوعيين ورجال الكنيسة، دلّ على ذلك ما أذاعه من حقائق فريدة عن مكرهم ومكائدهم، أفاد الجمهور فائدة جليّة.

هذا وأراني قد أطلت وما كنت أؤثر ذلك، لو لم أكتب إلى من يهّمه ذلك، فألتمس العذر أستاذي على ما أطلت إن أطلت، وعلى ما تركت إن قصّرت، وإلى لقاء قريب مع من يتيسّر له اللقاء بكم أخيراً من صفوة أبنائكم لينقل إليكم الصورة الكاملة؛ وقبل الختام أرجوكم إبلاغ تحياتي للأخ الكريم عمر بن بكير^(١).

ودمت لا بنكم الداعي لكم بالصحة والعافية وبلوغ المنى:

فخار حمو بن عمر

شكر لقبول طالب بالمعهد وشكر على زيارة (١)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.
والدي المحترم الشيخ بيوض — متعنا الله بحياته ونفعنا بعلومه النادرة
وزاده من لدنه بسطة — .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أغتتم فرصة توجيه أحد الأبناء إلى ربكم الطاهر إشفافاً على ذويه
وإنقاذاً له مما عساه يرتطم به في حمات الفساد المتربص بأضرابه...
حيث إن لوالده زوجاً لا تزال تجاذبه ثوب العصي للاستقرار هناك،
وهو لا يملك غير النزول عند رغبتها، "لا يغلبن إلا كريماً ولا يغلبهن
إلا لقيم"؛ — كما تعلمون — فافتضى الحال أن نعيد الابن للقرارة
ثانية، لكن لغير مأواه الأول عند الحاج سعيد، بل لدار البعثة العامة؛
فعساكم لا تمنعون في ذلك، آواكم الله ونصركم، وأكرم مثواكم
دنيا، وحين تعودون إليه أطهاراً أبراراً.

واسم الولد وتفاصيل ظروفه تجدونها عند الأخ عيسى الحاج
سعيد (٢) الذي عنده ما عند جهينة مما يهم معرفته.

(١) — الرسالة مؤرخة بـ: ٢٠ محرم ١٣٩٢هـ / ٠٦ مارس ١٩٧٢م.

(٢) — رئيس البعثة.

أقول أغتتم هذه الفرصة فأرفع لكم خالص الشكر على تلييتكم
دعوتنا المتواضعة لغرداية، وتشريفكم ديارنا بوجودكم وثمار رحلتكم؛
الأمر الذي سيكون له — إن شاء الله — بليغ الأثر، ومنذ لحظة
رجوعكم نمثي النفس بعودة أخرى في دائرة أضيق نعرض فيها عليكم
ما تجمع لدينا من إشكالات شرعية، من الله بذلك قريباً.

ولا بدّ هنا من الإشارة إلى عظيم النفع الذي أجنيه من وراء
دروسكم في التفسير خصوصاً، والمناسبات عموماً فلقد اتخذتها
— والله — زادي أهتبل الفرص لها اهتبالاً؛ وإن كنت أود أن أقترح
بعض مواضيع تهمني وهم من يتصدى للدعوة، تسجلون فيها دروساً،
سوف أدونها لكم قريباً.

وأخيراً أشكركم — وإن كنتم في غنى عن ذلك، إنما أبدية إظهارها
لتأثري — على فصل العناصر الفاسدة من البعثة؛ حتى لا تفسد
المجموعة من أجلها، وتستقيم القيادة للمسؤولين؛ نسأل الله لنا ولكم
العون والتوفيق، ولا زالت عنايته ترعاكم، ومحبة تغمركم، وكوثره
يفيض على جنبايتكم إلهاماً وأنعاماً، أيقاظاً ونياماً، وتشملنا معكم
بالتبع فنحن منكم — إن شاء الله — وإليكم.

ابنكم العاجز عن الإعراب عما يكنّ نحوكم:

فخار حمو بن عمر

ملتقى الفكر الإسلامي بوارجلان^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم تسليمًا.

والدي العزيز وأستاذي الجليل الشيخ ييوض — رعاه الله وأفرغ
عليه الشفاء من كل الأنحاء —:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وعلى أشقائي الخالص أوراع
أحمد، جهلان عمر، صالح أيوب صالح، وبقية الإخوان المهتمين بكم.
يسعدني أن أحيطكم علما أنني اتصلت أمس 15 فيفري 1977م
برسالتكم الكريمة من باريس، حيث تنعمون بالراحة والهناء اللذين
طالما تمنّيناهما لكم؛ فبلغنا الله الأمنية، فحمدا لله على ما وفق وسدد
وأعان، وجعل عاقبة ذلك ربّما عظيما، وما كان الله ليضيع هذا المجهود
المزدوج من صبركم على الاغتراب من أجل الدواء ودعوات الأجابة
بالشفاء صباح مساء، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ
لَكَرُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

رغم توعّكي مع المتوَعّكين أحاول أن أعطيكم صورة صغيرة، ثمّا
علق بذهني عن ملتقى الفكر الإسلامي بوارجلان. غير أنني أبادر

(١) — الملتقى الحادي عشر بوارجلان كان من 17 إلى 26 صفر 1397هـ/06 إلى 15 فيفري
1977م. والرسالة مؤرخة بـ: 27 صفر/16 فيفري.

بالقول إن للشيخ سليمان^(١) — رعاه الله — لفضلا كبيرا على الأمة
الميزابية والمذهب الإباضي لحرصه على انعقاد الملتقى بوارجلان،
والعمل على إنجاحه بكل ما يملك من وسائل، واستغلال كل ما له من
دالة على الوزير في إعلاء شأن الإباضية والخوارج إلى حد الغلو
والمبالغة أحيانا؛ وإن كنت أستسيغهما لأتهما في نظري اعتزاز في محله،
نظرا لما يقابله من فتور وحياد واستحياء من طرف عامة مثقفينا
الإباضيين المصلحين بالخصوص — حاشا المحافظين والليبيين — ونظرا
لما يجب أن يتّصف به العاقل أحيانا من جهل متى بلي بجاهل...

أمّا في نظر الطلبة فقد بدا الشيخ سليمان العلامة الذي لا ينزع،
وذلك حسبا؛ أمّا العلماء فيختلفون بشأنه بين محلّ له واثق بقوله
ولو أوعزه الدليل، وبين ناكر مخالف لأنه يراه يصرّ على قوله ولو خلا
وطابه من الحجّة والبرهان، ولكنّه يستسلم إعياء أو احتراما لنفسه، أو
فرقا من غلبة الوزير الذي يعضده من وراء ستار، حتّى لباس الشيخ
سليمان المتمثل في برنوس (الملفي) وحذائه المغربي وعمامته البيضاء
الناصعة زادت في تشريفه وتشريفنا، فحيا الله الشيخ سليمان رغم كل
مناوئيه ورغم مبالغاته، ورزق الله شبابنا بعض اعتزازه وشجاعته
وحيويته وسعة اطلاعه وبحثه.

(١) — سليمان بن داود (1323هـ/1905م — 1412هـ/1992م) من علماء مدينة العطف
ولاية غرداية، مهتم بالتاريخ الإباضي.

قضيت بوارجلان — كما قضى أكثر الملتقى من المجددين والمحافظين — الثلاثة الأيام الأولى: الأحد، الإثنين، الثلاثاء، وعدت كما عاد أغلبهم يوم الأربعاء، لأنه يوم فاصل رحل فيه المؤتمر لتوقرت وحاسي مسعود، والأيام الثلاثة استغرقها الموضوع الأول للملتقى وهو للحضارة الإسلامية في عهد الدولة الرستمية بتيهت ووارجلان.

والنقطة الثانية: الإسلام في إفريقيا.

والثالثة: المرأة بعد عام المرأة.

والرابعة: هل ما تحت الأرض نعمة أم نقمة؟

وقد استهل الوزير الملتقى بكلمة مكتوبة بينت مواضيع البحث، ومنهج البحث، والأساتذة والمدعوين لذلك...

استغرق اليومان الأولان في موضوع الدولة الرستمية؛ استهل الشيخ سليمان، فعمرو نامي، إبراهيم موسى فخار، فامرأة نسيت اسمها، فرجل كذلك فمستشرق (١) الخ.

(١) — الدكتور عمرو خليفة النامي أستاذ لبي متخصص في الدراسات الإباضية من بحوثه رسالة الدكتوراه بعنوان «دراسات في الفكر الإباضي»، والدكتور إبراهيم فخار أستاذ بجامعة وهران؛ والمرأة المذكورة هي الدكتورة وداد القاضي، أستاذة بالجامعة الأمريكية ببيروت لبنان، وزائرة بجامعة هافارد بالولايات المتحدة الأمريكية؛ وكانت محاضرتها بعنوان "ابن الصغير والدولة الرستمية"؛ والمستشرق الدكتور سلفادور غوميت نوغاليس، رئيس قسم الفلسفة بالمعهد الإسباني العربي للثقافة بمدريد، وكانت محاضرتها بعنوان "الرستميون كحلقة وصل بين الجزائر والأندلس".

وقد أعجبني رد الشيخ سليمان على المناقشين فكان في رده أبلغ منه في محاضرتي؛ وأعجبني المرأة في كل من محاضرتها (ابن الصغير (١) والدولة الرستمية) وفي ردودها الهادئة، ما دل على علو كعبها وثقتها بما تروي وتستنسج، فحسبكم أنها سجلت أن الدولة الرستمية كانت نموذجية في تطبيق تعاليم الإسلام، وجعلت صمام الأمان للخليفة العالم، فلولا صلاحه ما استتب الأمن مع ما في الدولة من تنافس قبلي، وتفجر مالي، وكلاهما خطر، واستدلت على صحة قولها بكون ابن الصغير مالكي المذهب ومع ذلك أثنى على العهد الرستمي؛ أمّا زميلها المحاضر فقد تناول (المجتمع الرستمي) فأولاه تحليلاً يشفي الغليل، أمّا ابننا فخار إبراهيم، فكان موضوعه (مغرب الشعوب)؛ أمّا الدكتور نامي فقد حاز الإعجاب ولم تثر ضده ضجة؛ حيث عرض (لمحة عن علماء المنطقة الأعلام)، كان الكثير من المؤتمرين يجهلهم بما فيهم — وما أبرئ نفسي — أنا وقد صحب الدكتور نامي معه للملتقى الدكتور طالبي أحسبه عميد جامعة ليبيا، وهو إن كان مالكيًا لكنّه مخلص محب؛ لسوف يكون لحضوره أثر إن شاء الله، وقد زار به القرارة بعد الملتقى فتسّموا من هناك أخباره.

على هامش الملتقى:

١. مكان الملتقى سينما سدراتة.

(١) — ابن الصغير مؤرخ عاش بتيهت الرستمية وكتب مولفه "سير الأئمة الرستميين".

2. حظيت وارجلان بإصلاحات كبرى في مساجدها وطرقاتها وأضوائها وتنظيم ساحاتها.

3. لا يزال الناس في جهل مطبق بالمذهب الإباضي وعلمائه وأصوله، يظهر في تساؤلات الطلبة خصوصا، وقد أزاح الملتقى كثيرا من الغشاوة عن العيون، غير أن الأمر يستدعي نشاطا أكثر.

4. قد بدا واضحا اختلاف الإباضية فيما بينهم في كونهم حوارج أم لا! فبينما يعتز الشيخ سليمان بالخارجية بدون تحفظ حتى بالنكار والصفريّة والأزارقة والنجدية يأبى الدكتور نامي ذلك ... ويرتبك القوم بينهم... وقد صرح الشيخ الشماخ اليماني (1) قائلا: بينما أجّل الشيخ سليمان والمذهب لكن أجد الشيخ علي معمر (2) يتصدى للرد عن قولكم حوارج بصفة عارمة — أو كما قال — والشيخ سليمان على النقيض من ذلك، فأرونا كتبكم التي لم تر النور لنحكم عليكم من خلالها...

5. أين ولد ابن الصغير — موضوع لم يحرر — بينما يدعي الشيخ

- (1) — هو القاضي عبد الله المجاهد الشماخ مؤرخ ووزير سابق بصنعاء.
- (2) — علي يحي معمر (1337هـ / 1919 — 1400هـ / 1980م) من علماء ليبيا، نشأ بالوت، وبما تعلم ثم انتقل إلى الزيتونة ثم القرارة حيث درس بمعهد الحياة ودرس فيه وكان له نشاط واسع بالقرارة وليبيا، اهتم بوحدة المسلمين وألف في سبيل إحيائها بالمقالات والكتب، كما اهتم بالتعريف بالمذهب الإباضي، ومن أهم مؤلفاته: سمر أسرة مسلمة، الإباضية بين الفرق الإسلامية، الإباضية في موكب التاريخ.

سليمان أنه ولد بالمشرق، يصّر الشيخ حماني (1) والمحاضرة أنه ولد بتيهرت، ولكل حجة ولكنهما جميعا واهية.

6. هل ابن الصغير مالكي حقا؟

ينكر البعض ذلك، ويثبته من يثبته اعتمادا على أن كتاب ابن الصغير كتب عليه: ابن الصغير المالكي؛ وأيده الشيخ سليمان الباروني (2) بتلك النسبة في "الأزهار الرياضية".

7. لماذا مكث عبد الوهاب (3) — وهو إمام — بالجليل سبع سنين؟ وهل حقا أنه قضاها في التدريس وفي تدريس الصلاة فحسب؟ يرى فخار إبراهيم أنه كان يعمل بنفسه لتركيز دعائم ملكه هناك لما تبين اضطرارها، فلم يعد حتى اطمأن إلى عماله.

8. فتنة نفاث بن نصر (4) ... وما إليها، بحاجة إلى تحقيق شاف،

- (1) — الشيخ أحمد حماني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر، العالم المفتي المالكي فيها، توفي سنة: 1419هـ / 1998م.
- (2) — سليمان باشا الباروني (1287هـ — 1870م / 1359هـ — 1940م) أحد العلماء الليبيين، والمجاهدين ضد الاستعمار الإيطالي، توفي منفيًا، له مؤلفات وأعمال في الصحافة والدعوة إلى الجامعة الإسلامية.
- (3) — عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم (171هـ — 787م / 208هـ — 823م) ثلثي الأئمة الرسميين عالم وإمام، عرفت الدولة الرستمية أيامه ازدهارا كبيرا،
- (4) — فرج بن نصر النفوسي (النصف الأول من القرن الثالث الهجري) من علماء نفوسة عارض إمامة أفلح بن عبد الوهاب بن رستم وسمي أتباعه بالنفائية.

حتى لا تبقى موضع قدح، وهي غير صحيحة؛ وإذا ثبتت رضينا بالأمر الواقع عن دراسة لا عن استسلام.

9. من الطرائف أن الشيخ مصطفى الزرقاء^(١) اعتبر معاوية في حربه لعليّ مجتهداً أخطأ فله أجر واحد، وذلك بمناسبة ذكر حديث (من كنت مولاه فعليّ مولاه)؛^(٢) وهذا التصريح من الزرقاء أثار شيعياً كان يسمع له فقام فاستدلّ بالحديث على استخلاف سيّدنا محمد لعليّ؛ وأظهر امتعاضه من إنكار هذه الحقيقة من الشيخ الزرقاء؛ ثمّ تاه في متاهة من كون عائشة وأبيها وغيرهما قد بايعوا عليّاً في حياة الرسول ﷺ... الخ ما لم أسمع من اعتقادات الشيعة الباطلة. غير أن الشيخ حمّاني حيّاه الله قام فردّ عليه ردّاً تاريخياً شرعياً، فأرداه قتيلاً.

10. ومن الغرائب أن الشيخ الشماخ اليمينيّ وهو شيخ كبير يتمتّع بحيويّة أنعى على الشيخ سليمان أن يقف لأبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري^(٣) عند هذا الحدّ ولا يزيد (اليمينيّ)؛ فاعتذر الشيخ سليمان وقال: ضيق الوقت هو الدّاعي للاختصار وإلاّ فهناك كثير من الأعلام الإباضية أو قال الخوارج من أهل اليمن، وسرد بعضهم

(1) - الدكتور مصطفى الزرقاء أستاذ بكلية الشريعة بجامعة الأردن ووزير سابق.

(2) - رواه الترمذي في المناقب وقال: حسن غريب.

(3) - أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري (ت: 144هـ/761م) من علماء الإباضية تلمذ على أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وكان أحد حملة العلم إلى المغرب، وعلى يده قامت أول إمامة للإباضية بالمغرب بطرابلس سنة 140هـ.

وأقحم بينهم أبا لؤلؤة... فما كان من أحد المحاضرين الماكرين إلا أن تدخّل بعد لأي... وبعد إبداء ملاحظات أقحم هو الآخر هذا القول: أرى في ردّ الشيخ سليمان على اليميني ردّاً ظاهراً وردّاً مبطناً؛ أمّا الظاهر فهو ما سمعتموه أمّا المبطن فهو أن من جملة اليمينيّين قاتل عمر بن الخطاب...

ومن الطرائف أن الشيخ سليمان لبس حولي العزّابة يوم إلقاء محاضراته، ولا تزال أفواج الطلبة والطالبات يعلنن آخر الجلسة طلب اللقاء معه ويتزاحمن على أخذ صورة معه، ويطلبن إهداء منه، فهل رأيتم مثل هذه الشعيّة والشأن؟ وهل هي إلاّ شعبيّة لنا وقيمة لنا؟

أمّا التلفزة وتسليطها أضوائها عليه فلا تسئل عنها... وسوف يحدثكم عن ذلك الشيء الكثير الغزير فلا أدري لم أتعجّله هنا؟

أمّا عن مقدم وفود الطلبة لميزاب فكان أيضاً مشرفاً للغاية ولم يكن للقرارة حظّ في ذلك، والظاهر لبعدها وضيق الوقت المعدّ لذلك، فهو مجرد يوم؛ الوصول على الثامنة بمعمل الصلب والحديد بـ"قار الطعام"... وزيارته ومنه إلى الغابة لمشاهدة تقاسيم المياه، ثمّ جولة في سوق غرداية، ثمّ زيارة المسجد الإباضيّ، ثمّ مكتبة القطب، ثمّ زيارة العطف أخذنا بخاطر الشيخ سليمان، ثمّ الغداء، ثمّ على الرابعة الرجوع لوارجلان.

تَوَجَّج الأفواج ثلَّة من الأساتذة بالجامعة، وناظري الأوقاف، كان على رأسهم الشيخ الزبير الوهراي... فما أن رفعنا قصع الطعام — ولم تشمل المأدبة على غير الطعام التقليدي مصحوبا باللبن ومرفوقا باللحم الطري وملحقا بالبرتقال مختوما بالشاي مشفعا بالقوفريط؛ أي خلافا لمقترح رئيس الدائرة الذي أذاعته البلدية والذي يفرض الوحدة في نوع الأكلة — وهو حق — لكنَّه يقسمها إلى شوربة ثم كسكسي مزَّج باللبن مرطَّب، فكان تحويلنا أحبَّ وأشهى إلى القوم وعليه سارت أغلب الضيافات فيما أعلم —

أقول ما كادت ترفع القصع، وتنتصب لجنة الفنِّ لإنعاش الروح بطربها المعهود حتَّى كان الشيخ الزبير يتوسَّط الحلقة متمايلا طروباً، خاصَّة وقد انتقي المجرود بتعيين الابن كركاشة^(١) لذلك، واختيرت القطع والأناشيد والمجموعة الصوتية انتقاء بارعا؛ ثم وقع الحفلة مديرها الذي يقرؤكم السلام توقيعا لطيفا، بكلمة أحسبها موفقة لأنَّه روعي فيها الدعوة إلى الله قبل الترحيب؛ ولأنَّ صداها في السامعين ضيفا ومستضيفا كان شديد الوقع، ولعلِّي أتمكَّن في فرصة ما من إطلاعكم عليها إن عاجلا وإن آجلا، ولم يبرح الشيخ الزبير حتَّى أخذها معه.

قام ضيفان يثنيان على الحفاوة — بعدي — وعلى الكلمة التي سمعوها؛ أحدهما الشيخ الزبير، والآخر عندي عنوانه ولا أذكره الآن...

وكلُّ الذي أذكره أنَّه سلَّمني بطاقته، فأحسست بانتعاش روحي؛ لماذا؟ لأنَّه صدَّرها بالبسملة ثم باسمه ووظيفه وعنوانه؛ وتلك بادرة لم أر أحدا فعلها قبل فيما رأيت، ما دلَّ على غيرة الرجل على الإسلام، وصدق ما أذاعه ثناء علينا لتمسُّكنا به.

إلى هنا أقطع حديثي معكم، وأستسمحكم العذر إن كنت قد أطلت وأعتذر إن كنت قد قصَّرت، فما آفة العلم إلا النسيان... وأرجو بهذا أنَّي قد رددت التحيَّة بمثلها، فردُّوا عليَّ بأحسن منها فأنتم أهل للفضل والإحسان...

أسعفونا بدعواتكم الصالحة التي تنير لنا الطريق في أحلك السبل، جعلنا الله وإياكم مُمَّن يهدي لنوره ومُمَّن نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم.

تفضَّلوا بقبول تحيات كلِّ إخوانكم من الإدارة وأبنائكم من المعلمين خاصَّة الشيخ نوح والشيخ بوعروة؛ والحمد لله ربِّ العالمين.

دمتم في صحَّة وعافية لابنكم البار:

فخار حمو بن عمر

نموذج من رسائل الأستاذ إلى تلميذه

التهنئة بالزفاف (١)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ولدي العزيز فخير حمو، سلام عليكم ورحمة الله.

وبعد فقد وصلني كتابك وكتاب أخيك الهمام محمد، فأفاداني

كيف انقضت حفلات عرسكم في غبطة وسرور، وإني أهنئكم بهذا

الزفاف الميمون، وأسأل الله أن يبارك لكل من العروسين في الآخر،

وأن يجعل بينهما مودة ورحمة حتى يسعد عيشهما وتهنأ حياتهما، وأن

يرزقهما من الولد ما تقر به أعينهما، إنه الجواد الكريم الرؤوف

الرحيم.

ولدي العزيز:

أرى من الواجب أن أفرك أذنك فركاً خفيفاً على ما بدر منك

من تهاون بواجبك؛ انقضى لك شهران منذ غادرت القرارة على أن

تعود إلى دروسك بعد أسبوع واحد، وطراً عليك ما طراً من نسخ

الخطّة الأولى، وأبدل بها خطّة لم تكن لتخطر ببالنا ولا ببالك، ثم لم

تخبرني بشيء من ذلك قط، حتى كانت الوسوس تنتابني في مصيرك.

وكنت أذهب في تأويل الأسباب مذاهب لا أطمئن إلى شيء

منها !!! أفيجمل بك هذا؟

أما اعتذارك بأن الرأي لم يستقرّ على شيء إلا أخيراً فغير مجد

ولا نافع، إذ كان الواجب يقضي عليك أن تخبرني بكل ما جدّ، ما

استقرّ وما لم يستقر، على أنك حتى بعد الاستقرار لم تخبرني إلا بعد

أن انقضى كل شيء؛ فلا تلم بمثل هذا فما هكذا تقضي سنن الآداب

والاجتماع.

سلامي لأخيك الهمام، والسيد محمد، ولآل فخير كلهم، وسلّم

حزب الإصلاح.

يسلم عليكم زملاؤك التلاميذ وجميع الإخوان؛

دمت للداعي بالعودة إلى معهدك:

بيوض إبراهيم بن عمر

نفقات الدراسة (١)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم.

الأخ الكريم السيد فخار محمد بن عمر:

سلام عليكم وعلى الابن العزيز فخار حمو، الذي أرجو وصوله
عندكم متمتعاً بصحة وعافية، واجداً إياكم كذلك.

سيدي وصلتني اليوم حوالة بخمسة عشر ألف فرنك من طرفكم؛
أشكركم على التعجيل بها، فإن الحاجة إليها أكيدة جداً؛ لكن
الحساب الذي على الابن حمو من أول العام سبعة عشر ألفاً وخمسون
فرنكا:

١٧٠٥٠

وقد أرسلتكم:

١٥٠٠٠

٢٠٥٠

فالباقى عليكم ألفان وخمسون فرنكا:

أرجو التعجيل بها ولكم الفضل.

وألفت نظركم إلى أن الابن حمو تأخر قليلاً في أول العام عن
زملائه، لكنني حسبت عليه النفقة كاملة، إذ لا يمكنني غير ذلك للعللة

المتبعة المشتركة على أولياء التلاميذ من جهة، واعتباراً لأريحيتكم أنتم
من جهة أخرى فغفواً.

أرجو أن لا تكون أيام حمو هناك فارغة تذهب سدى، بل أتمنى
أن يكون لها أثر بارز عظيم، ومثل ذلك تعلم وتشقف.

حفظكم الله جميعاً ووفقكم.

دمتم لأخيككم:

بيوض إبراهيم بن عمر



القسم الثاني



القسم الثالث

أمر بالقدوم إلى القرارة (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدي العزيز فجار حمو بن عمر سلام عليكم.

أريد منك أن تقدم عليّ يوم السبت مع سيارّة البريد لأتفاوض
وأريك في أمر هام جدًّا؛ ويمكنك أن تعود مع أول سيارّة بعد يوم
السبت — وهي لا تنقطع — فلا عذر في التخلف؛ رجائي أن تكون
عند ظنّي.

إني منتظرُك حفظك الله.
دمت لأبيك:

بُيُوض إبراهيم بن عمر



فهرس

تقديم الدكتور محمد ناصر ١

القسم الأول

- 3 مناقب القائد المربي
- 19 رجل الوقت
- 27 دعوة إلى الوحدة
- 36 استقبال الزعيم المحرر
- 39 لماذا حج القائد النائب؟
- 50 أسفر الصبح وظهر الحق
- 54 مرحبا بالباشا في القرارة
- 57 سلام عليك يوم اعتقلت ويوم أفرج عنك

القسم الثاني

- 61 كان حديثا حسنا

القسم الثالث

- 109 نموذج من رسائل التلميذ إلى أستاذه
- 136 نموذج من رسائل الأستاذ إلى تلميذه

